ورطة الأسطورة

مى حسنى

الطبعة الأولى 2011

دار رواية للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية
المدير العام:
أ. محمد إبراهيم محروس
رقابة إدارية وفنية
أ. عمرو المنوفي
غلاف: كريم آدم
مدير التوزيع: علاء محمود
رقم إيداع: 2011/4555
ترقيم دولى: 978_977_6395_0309
©جميع الحقوق محفوظة

مى حسنى

ورطة الأسطورة

الطبعة الأولى
2011
دار رواية للنشر

المـقـدمـة

أنا فتاة أعيش في بداية القرن الواحد والعشرين وعاصرت أواخر القرن العشرين، ولكن أحس بداخلي فتاة أخرى ليست من ذلك الزمان. أحسبها فتاة من زمن بعيد جداً. إنها مرسومة في خيالي أراها دائماً أمامي تعيش معي، أحياناً أعشقها وأجدها قريبة منى وأحياناً أخرى أكرهها، بل وأحاول التخلص منها إنها فتاة حالمة رومنسيتها قضت عليها وأفنتها والآن جاء دوري كي أفنى، هل عرفتم من هي تلك الفتاة؟

إنها سندريلا الأسطورة وقصتي معها بدأت منذ سنوات وإلى الآن لم تنتهى القصة!

منذ حوالي عشرون عاماً، حينما دق قلبي أول مرة أحسست بها وسمعت صوتها العذب آتي مع دقات قلبي، ومن يومها لم تفارقني. بدايةً لم أكن أعرف أنها هي (سندريلا)، كنت أتصورها أنا وبمرور الأعوام أصبح الإحساس يقين والخيال واقع، واقع يؤلم كثيراً. نعم إن وجود سندريلا الآن في ذلك الزمان يؤلم، تخيلوا معي سندريلا تلك الفتاة البسيطة الرومانسية التي لا تطلب الكثير.

إن كل مطامعها في الدنيا هي الحب النابع من القلب والمجرد من أي غرض آخر والشعور بالأمان. ماذا تفعل في زماننا هذا؟! وكيف

تعيش فيه؟! لابد أن تتألم وتتعذب وهى لا تتألم أو تتعذب وحدها أنا أيضا يضنيني الألم ويسحقني العذاب، فلا يبقى منى سوى حطام، فأكرهها وأكره نفسي، وأفكر في التخلص منها.. ربما أتخلص بذلك من عذاباتي.

ومن هنا بدأ الصراع حاولت قتل سندريلا التي تعيش بداخلي وظننت لفترة أنى تخلصت منها، ولكني لم أفلح في قتلها، ولكنها أفلحت في قتلى آلف مرة، فلا هي استراحت ولا أنا تخلصت منها.

أتمنى لو ترحل عني، كم أكره براءتها وسذاجتها في مجتمع لا يعرف معنى للرحمة ولا يدق الحب أبوابه الموصدة أبداً إلا إذا كان من وراء ذلك مصلحة، تتعذب وتعذبني معها، تموت وأموت معها، فهي تحيا لتموت، ويعشق الذئاب تعذيبها؛ فتذيقني عذاباتها رغم أنفى، ولم أعد أدرى هل أنا هي أم هي أنا؟! امتزجنا معا قلباً وعقلاً.

لكم أكره العذاب وأهرب منه بأقصى سرعة لدي، ولكنها أبداً لا تتركني لحالي، بل تعدو معي بأقصى سرعتها؛ فأجدها ملاصقة لي؛ فأهوى على الأرض مصعوقة من الصدمة! وعندما أحاول الوقوف مرة أخرى أجدها تنفض الغبار عنها وكأنها ظلي الظليل.

ثم أراها عصفوراً مغرداً في السماء لا تعرف إن كان تغريده فرحاً أم حزناً، طائر لا يدرى على أي غصن سينتهي به المطاف، يشقيه

الرحيل بلا هدف، ولكن لا سبيل أمامه سوى الترحال يشعر بالغربة في كل الأوطان يتساءل هل لي وطن؟! أين هو؟! هل سأجده يوماً؟! أم سأظل طوال حياتي أبحث عنه وكأنه سراب يأخذني من مجهول لمجهول آخر، فتمر السنون لا أحصد منها إلا الغربة والوحدة والعذاب.

الآن أراها أمامي تشقيني بنظراتها الحالمة اليائسة، تعذبني دقات قلبها المعتصر حرمانًا. عاشت تحلم بالحب، فلم تحصد سوى الألم. حطمت السنين الأحلام على صخرة الوهم، وداست الأقدام الأماني المستحيلة في عالم يعدو بسرعة الضوء للوصول إلى القمر واحتلال آخر معاقل الحب في هذا الكون.
يا أميرتي ارحلي عني وخذي معك الأحلام والأماني؛ فليس هذا زمانك ولا مكانك، زمانك قد ولى وراح وما من سبيل لعودته إلا برجوع السنين، لا، بل برجوع القرون فيا ليتها تعود، مكانك هناك في الأساطير ما بين حكايات الأميرة المسحورة والساحرة الشريرة وأمير جسور لا يهاب الموت من أجل محبوبته.

الفصل الأول

اليوم الأول

في أحد أيام الربيع المعطرة بنسمات الورود والياسمين كُنت أجلس بغرفتي مستغرقة في التفكير، أتذكر الأمس البعيد. حيث كنت طفلة هادئة الطباع أحياناً، مشاكسة أحياناً أخرى، ولكن كنت أحمل بين ضلوعي الكثير من الأحلام. مبتسمة للحياة ومتطلعة لتحقيق أحلامي، ولم أخرج للحياة العملية، ولم أرَ أحلامي تضيع من بين يدي الصغيرة كيد الأطفال في نعومتها وصغرها، ولم أصدم بواقع أليم حطم كل الأماني؛ فأصبحت مستحيلة.

كنت أبحث عن إجابات لأسئلة تلاحقني بين الحين والحين، لماذا لم أستطع تحقيق أحلامي بالرغم من بساطتها؟!
وكيف مرت السنوات من بين يدي دون أن أشعر بها، وفجأة بلغت العقد الثالث من عمري.
وبعد لحظات نهضت من خلف مكتبي، واتجهت إلى مرآتي، أنظر لوجهي لأجد عيوني قد اختلفت، أين أنتِ يا عيوني؟! لم تعد هذه هي عيون "حنين" تلك الفتاة المليئة بالنضارة والحيوية، والتي تعشق الحياة وتملأ الجو مرحًا من حولها أينما وجُدت، بل أصبحت فتاة تائهة حزينة لا تتكلم وتفضل الجلوس وحيدة بغرفتها، تقرأ كتابًا أو تحلم مع أغنية أو تراسل بعض الأصدقاء عبر الإنترنت.

بالكاد ترد على من يوجه إليها الحديث، ثم تعود للصمت مرة أخرى؛ فيلازمها الاكتئاب. فعدتُ أنظر للمرآة من جديد، وكانت المفاجأة!

رأيت فتاة أخرى بالمرآة، لم تكن أنا، ولم تكن فتاة عادية، بل كانت ملكة متوجة تنظر ليّ، والدهشة تملأ عينيها، تحملق في، وبدوري أحملق فيها.. ما هذا الذي ترتديه؟!
إنها ملابس القرن الثامن عشر على ما أعتقد، أعرف تلك الملابس من خلال الأفلام السينمائية التي شاهدتها تتحدث عن ذلك العصر.

لقد كانت ترتدي ملابس أميرة، حقاً ذات ملامح ملائكية، جسمها نحيف، شعرها ذهبي ناعم، وعلى رأسها تاج أجمل من كل تيجان الملكات له بريق الماس يأخذ العين ببريقه اللامع، تتزين بأساور وعقود متلألئة كالنجوم ملتفة حول رقبتها ورسغيها، ترتدي فستاناً أبيض اللون كفساتين الزفاف التي ترتديها الفتيات يوم عُرسها ولكنه أجمل ما رأت عيناي.

أفرك عيني هل ما أراه واقع أم حلم يقظة؟! إنه حُلم؛ فخرجت مهرولة من غرفتي إلى غرفة المعيشة، فلم أجد أحداً، فدرتُ بالشقة كلها، ثم تذكرت أن جميع أفراد أسرتي خرجوا، كل إلى غايته. وأنا وحدي أنتظر صديقاتي؛ حيث اعتدنا على اللقاء بمنزلي أيام الجمع من كل أسبوع.

عدتُ لغرفتي مرة أخرى؛ كي أشعل سيجارة تخفف عنى وطأة ذلك الحلم، فإذا بتلك الفتاة لا زالت بالغرفة -أقصد الأميرة-تجول الغرفة وتحملق بكل ما حولها؛ محاولة لمس بعض الأشياء.
لكن خوفها يمنعها، ففزعتُ مرة أخرى.
إذن لم تكن حلم يقظة أو تخيل..
إنها واقع يقف أمامي.
نظرتْ لي بعين متفحصة، وتكلمتْ لأول مرة، وكان صوتها ملائكياً عذباً، منسجماً مع وجهها وجسمها كملكة جمال للكون لكل الأعوام الماضية والقادمة أيضاً

قالت: من أنتِ؟ وأين أنا؟ وما كل تلك الأشياء والآلات الغريبة؟ وتشير إليّ بيدها المزينة بالخواتم المرصعة باللؤلؤ؟
فأجبتُ وأنا أشد خوفا: لا تخافي إنني أشُعل سيجارة لأدخنها ثم استدرتُ خائفة وجلستُ خلف مكتبي.
كانت قدماي ترتجفان ولا أتمالك الوقوف عليهما من المفاجأة، وكنت أحاول إخفاء ذلك عنها لسبب لا أعلمه!
سألتها: قولي لي من أنتِ؟! وكيف دخلتِ هنا ومن أين دخلتِ؟ ماذا تريدين منيّ؟ ولماذا ترتدين هذه الثياب ومن أين أتيت بها؟ هل أنتِ وهم أم حقيقة؟ حُلم أم واقع؟ إنس أم ملاك؟

لم ترد عليّ، بل استمرتْ تحملق في كل شيء فيّ، وفي ملابسي وتسريحة شعري ومكياجي حيث كنتُ أستعد لاستقبال بعض صديقاتي، فكنت أرتدي ملابس كاجوال، بنطلون جينز، وبادي روز، وشعري الأسود ينساب على ظهري، ثم عادت تحملق في أغراضي المبعثرة بالغرفة، جهاز الكمبيوتر الخاص بيّ، والتليفون المحمول بجواره على المكتب، والكاسيت ومجموعة الشرائط بجواره على منضدة صغيرة، جهاز التكيف الملصق بالحائط بأحد أركان الغرفة، الكتب الموجودة بالمكتبة، هدايا عيد ميلادي الموجودة بالركن، المرآة، والتسريحة، وأدوات المكياج الموجودة عليها، والسيشوار الذي كان على الكرسي أمام التسريحة، بعض الصور المعلقة على الحائط وعلى جوانب التسريحة لأصدقائي وأفراد أسرتي.
ودار الحوار بيننا، ولم أكن على يقين تام من شخصيتها، محاولة أن أقْنع نفسي أنها أحد مقالب صديقاتي:

سندريلا: ألا تعرفين من أنا؟ أم أنكِ تستخفين بي؟
حنين: يا سيدتي أنتِ هنا في بيتي وداخل غرفتي فبالله عليكِ أجيبي وإلا استدعيت لكي الشرطة.
وكان الغضب قد بدء يستبد بي.

سندريلا: الشرطة؟! ولما؟ ماذا فعلت؟ هل أنا سارقة؟
حنين: إذن أجيبيني من أنتِ؟
سندريلا: أنا سندريلا كل من بالمملكة يعرفني.
حنين: مملكة؟ من أنتِ؟ سندريلا؟

أي عبث هذا! من هول الصدمة وقفتُ وأخذتُ أدور من حولها أحملق فيها مرة أخرى والدنيا تدور من حولي وأفكر تُرى هل هذه أحد مقالب صديقاتي أم أني جننتُ أم أنني أمام معجزة إلهية فوق استيعابي.

قلتُ لها في استنكار ضاحكة: وكيف جئتِ إلى هنا؟! هل ركبتِ آلة الزمن التي أراها في أفلام الخيال العلمي؟!
ردتْ بنظرات دهشة: ماذا؟! آلة الزمن وهل للزمن آلة والناس تركبها؟! كيف ذلك ؟! وما هي أفلام تلك التي تتحدثين عنها؟! وما هو الخيال العلمي هذا؟! أنا لا أفهم شيئًا مما تتفوهين!؟

قلتُ بصوت عال يملؤه الغضب: أنسِ موضوع الأفلام وقولي ليّ كيف وصلتِ لغرفتي هنا؟ لقد نفد صبري منكِ.

قالت: سأقول لكي كل شيء دون أن ترفعي صوتك عليّ، كنت أجلس بغرفتي بقصر الأحلام الذي اعتدتُ أن أزوره في مثل هذا الوقت من العام؛ كي أسترجع ذكريات الحب الجميل في أول لقاء بيني وبين مليكى وزوجي الحبيب، أنظر لمرآتي أتأمل وجهي وتلك التجاعيد التي بدأت تظهر فيه، وفجأة وجدتك أمامي بالمرآة تحملقين فيّ؛ فاقتربت من المرآة؛ كي أتحقق مما أراه! إن كان واقعاً أم خيالاً، فإذا بي أجد نفسي ها هنا أمامكِ في هذه الغرفة العجيبة.

حنين: وهذا ما حدث ليّ أيضاً، ولكن التجاعيد لم تظهر بعد في وجهي.
ضحكت، ثم قلت مستهجنة: على ما يبدو أنه تم استدعاؤك إلى عالمنا هذا.
سندريلا: استدعائي؟ ماذا تعنى بهذه الكلمة؟ أنا سندريلا من يجرؤ على استدعائي؟

حنين: أعنى انكِ يا سيدتي ويا أميرتي الغالية الآن في عام آلفين ميلادياً أي أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين زمن يختلف كلياً وجزئياً عن العالم الذي كنت تعيشين به وتحكين عنه؛ إذا صدقتك!

سقطتْ سندريلا من الصدمة على الأرض، فوجدتُ نفسي أحملها إلى سريري وأتيت بأحد برفاناتى؛ لأفيقها، ولكني أيضاً كنت في حالة عدم توازن؛ فجلست خلف مكتبي أنظر لهذا الوجه الملائكي وأتحدث لنفسي: هل هذه حقيقة حتى لو أقنعت نفسي بهذا كلعبة لتكن سندريلا وأستفيد بخبرتها في مشكلتي وقد أجد عندها بعض التفسيرات التي طالما حيرتني وطيرت النوم من جفوني ليالٍ طويلة، ربما أجابت على أسئلتي التي لا أجد لها إجابات، لنلعب!

بدأت سندريلا تفيق من تلقاء نفسها وفتحت عينيها وعادت تحملق من جديد فيما حولها وقالت: ألا زلتُ هنا؟ كنت أتمنى أن يكون حُلماً.

حنين: أنه الواقع يا سيدتي، فأهلا وسهلا بك في عالمنا المثير.
سندريلا: نعم على ما يبدو أنه مثير فعلاً ومليء بالغرائب، ما كل هذه الأشياء وما هي استخداماتها؟

وكانت تقترب وتحملق باستغراب في شاشة جهاز الكمبيوتر الموجود أمامي على المكتب، ثم تدير رأسها نحو كاميرا الفيديو المعلقة بأعلى الشاشة، وأصيبتْ بقشعريرة عندما لامستْ شاشته بإصبعها محاولةً لمس صورتها التي تظهر بالشاشة، فضحكت بصوت عال.

حنين: هذا يسمى كمبيوتر والبعض يطلق عليه اسم الحاسب وهو إحدى التقنيات الحديثة الذي قد لا يستوعبه عقلك.
قائلة: إلى باستنكار ودهشة في آن واحد، ثم عاودت النظر للكمبيوتر.. قائلة: ماذا يستطيع أن يفعل هذا الشيء؟!

فأجبت: أنه يفعل الكثير والكثير يا سيدتي، إنني أقابل عليه أصدقائي يومياً ونتحدث لساعات طويلة، أرسل وأستقبل عليه الرسائل بدلاً من البريد العادي المتعارف عليه ويسمونه بريداً إليكترونياً، وأطلع من خلاله على الأحداث في أنحاء العالم يوماً بيوم وساعة بساعة كما أستطيع أن أشاهد أحدث الأفلام والأغاني بأمريكا و...
قاطعتني قبل أن أكمل جملتي وقالت: أرجوك يا آنسة لا تستغلى فرق الزمان وتسخري منى.

قلت ضاحكة من قدرتها على تمثيل الدور: أنا لا أسخر منكِ ولا أكذب عليكِ، إنما أشرح باختصار شديد إمكانيات هذه الآلة وما تستطيع أن تمدني به من معلومات في شتى المجالات بجميع أنحاء العالم من غرفتي هذه.

استطردت حنين: ها هو الدليل أمام عينك رسالة من صديق لي بأسبانيا وصلتني الآن، وبدأت أقرأ الرسالة وهى تنظر للشاشة ثم إلى وجهي في تعجب!

بعد أن قرأت الرسالة، قلتُ لها: لا عليكِ فهذا الجهاز معقد للغاية بالنسبة لكِ، ولكني كنت أريدك أن تحكى لي عن عالمك، وكيف كانت الحياة فيه؟ هل هي كما سمعنا عنها بالروايات أم أنهم أضافوا إليها لمساتهم الفنية؟

لم ترد سندريلا، بل تحول نظرها إلى جهاز الكاسيت وقالت: وما هذا أيضاً؟
حنين: أنه جهاز كاسيت أسمع فيه الأغاني والموسيقى
سندريلا: وأين تخفي الموسيقيين والمطربين؟
حنين: إنه مجرد تسجيل صوتي ولا أحد موجود به انتظري كي تري كيف يعمل.

وأدرت أحدث الأغاني التي كنت أسمعها قبل زيارة الأميرة سندريلا ليّ، فإذا بها تقفز وتشب وتسد آذنيها وتقول: ما هذا؟ أهي لعنة من لعنات الآلهة أم سحر من أعمال الساحرة الشمطاء "كهركوبان"؟

فدوت ضحكاتي عاليةً: لا إنه عمرو دياب! وليس لعنة من اللعنات يا أميرتي وهذا أحدث شريط له في السوق.
سندريلا: سوق؟ للأغاني والمطربين سوق يباعون فيه؟!

حنين: لا لا يا سندريلا، لا أقصد المعنى الحرفي للكلمة، بل أعني أن كل مطرب الآن في عصرنا هذا يسجل أغانيه على شريط مثل هذا - وأشرت لها على الشرائط الموجودة-ويقوم ببيعه في سوق الكاسيت؛ ليسمعه كل الناس في جميع أنحاء العالم.

سندريلا: الآن فهمت، ولكن ما هذه الأصوات والآلات التي تعزف أنها تصيب الآذن بالصمم؛ إذا ما سمعتيها لفترة طويلة.

جاوبت بانطلاقة الشباب: إن كل شيء في عصرنا يا سيدتي صوته عالٍ، لقد اعتدنا على ذلك منذ سنوات طويلة، فعندما تدور كل تلك الآلات العجيبة كما تطلقين عليها تصدر أصوات عالية؛ لذلك لابد أن يكون صوت الموسيقى أعلى مما كان عليه في عصركم.

فنظرتْ باستنكار ورفض، ثم أدارت عينها إلى التسريحة وأدوات الماكياج ثم السيشوار، واتجهت إلى السيشوار، ثم أمسكت به وقالت وما هذا؟
حنين: إنه سيشوار لتجفيف الشعر، إن إيقاع الحياة اليوم سريع جداً ولا أستطيع أن أنتظر حتى يجف شعري، ولذلك فان هذه الآلة مذهلة في تجفيف الشعر، انظري كيف تعمل..
وضغطت على المفتاح الخاص بالتشغيل فدوى صوته في نفس وقت خروج الهواء الساخن منه؛ فأصابها الذهول!
وقالت سندريلا: ما هذا بربك؟ أهي رياح الخماسين تهب من داخل هذه الآلة العجيبة؟!
ثم وقع نظر سندريلا على الصور المعلقة حول مرآة التسريحة وقالت: ولمن هذه الوجوه الصغيرة؟ وأي رسام بارع رسمها بتلك المهارة والدقة الفائقة؟

حنين: إنها صور فوتوغرافية يا سندريلا ولا يستطيع أي رسام أن يرسم مثلها لأنها صورة طبق الأصل وليس للفنان دخل فيها.
سندريلا: فوتوغرافية؟ ماذا تعنى هذه الكلمة؟
حنين: هناك آلة تسمى كاميرا تلتقط بها هذه الصور ثم تحمض وتطبع وتكون في النهاية صور جميلة مثل تلك التي ترينها معلقة، وقد اعتاد الناس أن يلتقطوا مثل هذه الصور في المناسبات السعيدة

الخاصة بهم مثل الزفاف وأعياد الميلاد والرحلات وحفلات التخرج وما إلى ذلك..

فهذه الصورة مثلاً لي أنا وصديقاتي في حفل تخرج الجامعة منذ حوالي خمسة أعوام مضت أما تلك الصورة فهي لي أنا وأسرتي عندما كنا في لبنان العام الماضي.

وبشغف قالت سندريلا: هل لي أن أرى هذه الآلة التي تتكلمين عنها؟ وأرى كيف تعمل؟ وتمتمت: آه لو كانت هذه الآلة موجودة في عصرنا لكنتُ صورت بها يوم عرسي؛ فقد كان يوماً موعوداً لا يماثله أي عرس من الأعراس.

حنين: بالتأكيد انتظري لأحضرها.
واتجهت إلى دولابي وفتحته، وأخرجت الكاميرا من أحد الأدراج وبدأت تشغيلها وفكرت أن التقط للأميرة القادمة من القرن الثامن عشر صورة للذكرى بتلك الملابس والإكسسوار الرائع الذي تتزين به.
قلت لها: ها هي الكاميرا هل لي بصورة يا أميرتي أحتفظ بها لذكرى تلك الزيارة الغالية؟

فردت سندريلا على الفور: طبعاً يا... ما اسمكِ؟ أنا حتى الآن لا أعرف اسمك أيتها الفتاة الجميلة؟
قلت: أنا أسمى "حنين".

سندريلا معقبة: يا له من اسم جميل لفتاة جميلة.
حنين: أشكرك يا أميرتي على هذه المجاملة الرقيقة وماذا أكون أنا أمام جمالك الأخاذ واسمك الذي توج مملكة الجمال والحب معاً ولم

تستطع أجمل جميلات العالم منذ عصرك وإلى اليوم الاستيلاء على هذا العرش.

سندريلا: اتركينا من المجاملات وهيا أديري هذه الكاميرا.
حنين وهى تضبط الكاميرا: أمرك مجاب سيدتي، ثم التقتُ لها عدة صور بملابسها وتسريحة شعرها اللذين يمثلان أحدث خطوط الموضة (موضة القرن الثامن عشر)!

وبعد أن انتهيت من التصوير قالت سندريلا: أين الصور؟
حنين: بعد أن ينتهي الفيلم الذي بداخل الكاميرا أذهب به إلى معمل فوتوغرافيا حيث يتم التحميض والطبع للصور.

سندريلا: ليكن ذلك، ومتى ستحضر صديقاتك؟
حنين: أنني في انتظارهن.
ووضعت الكاميرا جانبا وجلست على الكرسي خلف مكتبي أفكر كيف ستستقبل صديقاتي سندريلا الأسطورة على أنها واقع يقف أمام أعينهم؟! وفى نفس الوقت كنت أريد أن أطلعها على ما يدور في عصرنا وأعرف الفارق بينه وبين ما كان عليه الحال في زمنها في أمور الحب والزواج وما يتعلق بهذه المسالة؛ فرأيت أن أقدم الأميرة سندريلا على أنها إحدى صديقاتي من خارج مصر أو أنها كانت تقيم بالخارج منذ فترة طويلة؛ حتى لا تظن بي صديقاتي وكل من سأقدم لهم سندريلا الأسطورة الجنون.

فنظرت لها وقلت: ألا تضايقك هذه الملابس الثقيلة يا سندريلا؟ أرى أنها ثقيلة كيف تتحملينها؟ لماذا لا تستبدلينها بأخرى من ملابسي، إن مقاسك مماثل تقريبا لمقاسي؟ واتجهت ناحية الدولاب لأغريها بتجربة أحد خطوط الموضة من القرن الواحد والعشرين؟

وبشغف تطلعت سندريلا بمحتويات دولابي من ملابس وألوان غريبة، مثلها مثل أي فتاة أو سيدة عندما تتكلم عن الموضة والأزياء في كل العصور والقرون، نظرتها تجاه الأزياء والجمال وخطوط الموضة، فالموضة هذا الصيف هي الألوان الزاهية التي تمنح الفتاة شيئاً من الحيوية والنضارة والإبهار أحياناً عندما تأخذ هذه الألوان العيون لبعيد.

حنين: ألا تعجبك هذه الألوان يا أميرتي؟
ردت سندريلا بدورها: لا لا على العكس إنها في غاية الروعة والأناقة مثل كل شيء في عصركم هذا، إنه يشبه موديل البنطلون الذي ترتديه يا "حنين" لماذا تلبسين ملابس الرجال يا "حنين"؟
فضحكت وأنا أقول: ملابس الرجال ؟! إنه موديل حريمي وليس رجالي.

استنكرت قائلة: لا.. أنا اعرف جيداً أن الرجال فقط هم من يرتدون البنطلونات أما ملابس الفتيات والسيدات هي الفساتين الطويلة.

حنين: لا إن ذلك كان بالأمس البعيد في عصركم يا أميرتي أما الآن ومنذ سنوات طويلة أصبحت المرأة العصرية كما يطلقون عليها ترتدي البنطلون، بل وترتدي ما يحلو لها أيضا إنه عصر الحرية، حيث أصبح من حق المرأة الكثير والكثير مما كان محرماً عليها في عصركم وفى عصور قريبة جداً من عصرنا هذا الذي أعيشه اليوم.

لقد خرجت المرأة في عصرنا من عباءة الرجل وأظهرت قدرات كامنة بداخلها في شتى المجالات حتى إنها أذهلت العالم كله في غضون سنوات قليلة مضت بما قدمته للعالم وأثبتت أنها تستطيع أن تفعل كل شيء، حتى مجال الحروب دخلته المرأة أيضاً، أتعرفين

أن هناك فتيات مقاتلات في صفوف جيوش بعض البلدان، فلم تعد الحروب من سمات الرجال فقط يا أميرتي.

فردت سندريلا باستغراب: ماذا أهناك امرأة قادرة على القتال كما يقاتل الرجال في ميادين الحروب وقادرة على حمل السلاح؟! إنه عجب العجاب وأغرب من الخيال وأبعد عن حكايات الأساطير، أليس هناك رجال لخوض الحروب حتى يستعينوا بالنساء؟!

وجاوبت حنين: لا إن الأمر ليس كما ظننت يا أميرتي لكن المرأة تريد أن تثبت للعالم كله أنها ليست ضعيفة أو أنها عضو غير نافع سوى للإنجاب فقط، ولقد أثبتت ذلك بالفعل، وأصبح الآن للمرأة صوت مسموع في كل أنحاء العالم.
سندريلا: أراك منفعلة جداً يا "حنين" لم كل هذا الانفعال؟ إنني فقط أتسأل ولست أعترض على خروج المرأة للحياة العملية، بل إنه يسعدني جداً بشرط ألا يؤثر ذلك على بيتها وحياتها الأسرية. فمنذ الأزل والمرأة تعمل بجوار الرجل وهذه ليست بدعة في عصركم لكن تستطيعي القول إنها تطورت بتطور السنين والقرون كما تقولين.

جاوبت محاولةً إخفاء انفعالي: ففي بلادنا الجميلة بالرغم من عراقتها وأمجادها إلا أنها تعد من بلاد العالم الثالث حيث لم تحصل المرأة على كل الحقوق بعد كما حصلت عليها نساء العالم الأول والثاني وهذا سر انفعالي، اتركينا من هذا الموضوع واختاري الثياب التي تحلو لك؛ لترتديها قبل أن تحضر صديقاتي.

سندريلا وهى تنظر وتتفحص ملابسي المعلقة في الدولاب: سأختار أن أكون عصرية مثلك؛ فأنا كنتُ دائما أحلم بالحرية وأتمنى أن أحظى ببعض الانطلاق دون قيد أو شرط، فمنذ أصبحت ملكة

وأصبحت كل تحركاتي وتصرفاتي محل أنظار واهتمام الجميع حتى ضاق صدري.

واستطردت سندريلا: سأرتدي هذا البنطلون الأسود وعليه هذه الـ وتلعثمت في النطق فأكملت لها: البادي الفوشية، فردت: نعم هذا ما كنت أريد أن أقوله وأكملت: وأين أستطيع تغير ملابسي؟

حنين: هنا في هذه الغرفة سأنتظر بغرفة المعيشة حتى تغيري ملابسك. وخرجت وأغلقت باب الغرفة وذهبت إلى غرفة المعيشة أفكر في الخطوة المقبلة، ماذا سأقول لصديقاتي وأمي عن الأميرة الأسطورة التي أضحت حقيقة!
لن يصدقني أحد إن قلت إنها سندريلا، وستكون النتيجة الحتمية أن أجد نفسي بأحد المصحات النفسية والعصبية فلا سبيل أمامي إلا أن أكذب عليهم جميعا، ولكن أي الأكاذيب تكون مقنعة أكثر؟!

أقول إن سندريلا هي إحدى صديقاتي عبر الإنترنت، وجاءت تزورني من بلاد بعيدة وعجيبة وأي البلاد تلك التي تتشابه مع القرن الثامن عشر في تمدنها وفى نفس الوقت يستخدم شعبها الإنترنت؟! لا يوجد في العالم اليوم بلاد تعيش عصر مثل العصر الذي جاءت منه سندريلا، فمن ستكون إذن؟! وكل شيء غريب عليها وهى لا تصمت عندما تجد أو ترى أو تسمع شيئاً غريباً عليها، بل تسأل وتحاول أن تفهم كل ما يدور حولها فما العمل إذن؟ ليس أمامي إلا هذا الحل وعلى سندريلا أن تتفهم هذا الوضع وتتعامل معه وعلى الجانب الآخر، سأحاول أن أطلعها على كل ما قد يصادفها، إنها ملكة الآن، ومن المؤكد أنها تعلمت الكثير مما قد يساعدها فيما ستتعرض له من مواقف مقبلة.

وفجأة سمعت صوت سندريلا تصرخ؛ فقمت مسرعة إليها وطرقتُ البـاب، ثـم دخلـتُ دون أن أنتظـر ردهـا اعتقـادا منـي أن مكروهـا أصابها، فإذا بها تقف أمام المرآة تحملق في نفسها بعد أن ارتدت ثيابي العصرية كما تطلق عليها.
كانت صرخة فرح ممزوجة بإعجاب يشوبها انطلاقة الشباب، كما نفعل اليوم نحن الشباب عندما نرى آو نسمع ما يبهرنا؛ فتحول انزعاجي إلى ضحكة فرح تشاركها بهجتها، وأنا أنظر لها بعد أن تحولت من أميرة القرن الثامن عشر إلى فتاة عصرية ولا يستطيع أحد أن يقول غير ذلك عندما يراها.

حنين: الآن لا يستطيع أحد يفرق بينك وبين أي فتاة بهذه الملابس العصرية، وأستطيع أيضا أن أقدمك لأصدقائي على إنكِ صديقة لي جاءت لزيارتي وزيارة مصر أليس كذلك يا سندريلا؟

سندريلا وهى لا تزال محملقة بالمرآة وكأنها أمام معجزة كونية: نعم معك حق أصبحت أشبهك الآن وأظن أن شعبي لن يعرفنا إذ ما رآني بهذه الملابس!
وأخذت تضحك.
حنين: ودعيني التقط لكي صورة بهذه الملابس العصرية، وأكملت وأنا التقط الصورة الأخيرة في الفيلم: سوف تحضر صديقاتي الآن وسأقول لهم إنك صديقتي عبر الإنترنت جاءت لزيارتي وأرجو ألا تكشف صديقاتي سرك لأنهم إن كشفوه سيظنون بي الجنون؛ ولذا أطلب منك ألا تسالي عن أي شيء غريب ترينه آو تسمعينه منهم، بل احتفظي به إلى أن نجتمع بمفردنا؛ فأجيبك على كل تساؤلاتك يا ساندي؟

سندريلا: ماذا قلت؟! ساندي؟ أتتحدثين إلي يا "حنين"؟

حنين: نعم أتحدث إليك يا أميرتي، سأطلق عليكِ اسم ساندى أمام أصدقائي، فاسم سندريلا ليس له وجود في عصرنا هذا، واعتبريه اسم تدليل.

أومأت برأسها دون أن تنطق بالموافقة وهى تنظر للموبيل وهو يرن.

فنظرت للموبيل، وقلت لها مسرعة وأنا أضع ملابسها بالدور العلوي بالدولاب: سأخبئ ملابسك الملكية هنا كي لا تراها صديقات، فقد اعتادت صديقاتي العبث بكل ما يخصني، لقد وصلوا وسيدقون الباب الآن لا تنسى ما اتفقنا عليه، لا تجعليهم يشعرون بأنكِ غريبة عن عالمنا هذا.

ودق الباب فعلا ـ حيث اعتادت صديقاتي أن يرنوا لي على الموبيل قبل صعود السلم؛ لأفتح لهم الباب سريعاً، وأحيانا ليعلموني بحضورهم ـ واتجهت إلى الباب؛ لأفتح لهم وهى تنظر لي باستغراب وتقول في نفسها ما هذه الآلة العجيبة التي أصدرت الصوت الموسيقى الذي رن؟ وكيف عرفت أن صديقاتها هن من بالباب؟

تركتها وحدها بالغرفة وذهبت لاستقبل صديقاتي بالباب وأنا أقول: ربنا يستر.

وبالباب كانت تحتشد صديقاتي: سهام، ومريم، وسالي، وفريدة كانت تقف فريدة بالمقدمة تدفعها من الخلف سالي للدخول تليهما مريم وسهام تقفان على بعد خطوات تتهامسان كالعادة دائما.

استقبلتهن ودخلن بعبارات التحية والقبلات الحارة بين الأصدقاء إلى صالة استقبال الضيوف التي لا تستهويهم أبداً؛ فتتحول الجلسة

إلى غرفتي، حيث يشعرون بالراحة، وأنا أيضا؛ فأنا لا أحب أن تستمع أمي لحواراتنا وعراكنا، ثم ضحكاتنا الرنانة.

حاولت أن أوقفهم؛ لأقول لهم أن ساندي بالغرفة، ولكن باءت المحاولة بالفشل، فقد كن يتعاركن بالسيارة، التي تملكها فريدة، والتي اشترتها عندما قررت الاستقرار بمصر. ولا زال العراك محتد بين سالي وفريدة في تحديد من منهما التي تأخرت عن موعدها، مما أدى إلى تأخير الجميع في الحضور. وكنتُ في نفسي أشكر التي كانت السبب في التأخير، ولكن كان يجب أن أظُهر العكس.

وفى تلك الأثناء كانت سهام قد فتحت باب الغرفة وعبرت الباب لتقف أمام سندريلا وأنا ارتجف خوفاً أن يفتضح أمري، ثم تلتها الباقيات وأصبحنا جميعاً بالغرفة.

ومن الصمت خرج صوتي قائلا: أعرفكم يا جماعة على ساندي صديقة لي عبر الإنترنت جاءت لتزورني وتزور مصر المحروسة.
ولم تتحرك سندريلا من مكانها، وأخذت تحملق فيهم كملكة تجرأ أحد رعاياها على الاقتراب منها أكثر مما ينبغي خلال الموكب خارج القصر الملكي.

وتقدمت سهام ثم فريدة وسالى تليهم مريم نحو سندريلا ليدور الحوار بينهم:-
سهام: أهلا وسهلا بك في مصر.
فريدة: إن شاء الله تعجبك مصر وناس مصر.

سالى: Hi, Where From?
مريم: متى وصلتِ للقاهرة؟ ولماذا لم تخبرينا بموعد وصولها يا حنين كي نستقبلها في المطار.

قالتها وهى تلتفت إلى بنظرات تعجب؛ فقد اعتدت أن أقص عليها كل تفاصيل حياتي لحظة بلحظة، وبالطبع هي تتعجب لماذا لم أخبرها بأمر ساندي.
وبعد السلامات والتحيات أخذت كل منها مكان بالغرفة؛ لتجلس به وهن لا يزالن يحملقن في سندريلا، ولا زلتُ أموت من الرعب أن تنكشف الحقيقة، وكنتُ أرى في عيون ساندى ألف سؤال وسؤال! يكاد لسانها ينطق بهم.
وهنا حاولت أن أشغل صديقاتي عن ساندي قبل أن يقع المحظور وأخذت أسأل كل واحدة عن أحوالها على التوالي:
كيف حالك يا سهام وكيف حال زوجك؟
سهام: الحمد لله كل شيء تمام، الجو هادئ الآن بالمنزل بعد سفر أبو زوجي وزوجته الجديدة في رحلة إلى شرم الشيخ، سأرتاح أسبوعين.
حنين: عظيم
والتفتُ إلى سالي ومريم وهما يضحكان سخريةً على كلمات سهام.
وسارعت مريم تقول: أنا آسفة يا سهام اعذريني حماك ده راجل شايف نفسه أوى، أنا مش عارفة أتزوج مرة واحدة وهو أتجوز سبع مرات لحد دلوقتى.

سالي: لا وكمان سافر يغير جو مع العروسة الجديدة.
فريدة تعقب: يا جماعة هو لم يفعل شيئاً خطأ أو حراما، أنتم يا مصريين تحبون النقد السلبي دائماً دون داع، هل أجرم الرجل في الزواج ممن تشاركه الحياة وهو لم يتعد السبعين من عمره بعد؟!

سهام: لم يخطئ يا فريدة، ولكنه لا يراعى شعوري أنا وسيف فنحن نشعر أننا غرباء في منزلنا، والعراك دائماً محتدم بيني وبين زوجته؛ فهي تشعرني بالغيرة، كيف لرجل في مثل هذا السن أن يتزوج من فتاة أصغر مني أنا؟!

وبعد الجملة الأخيرة لسهام نهضت ساندي فجأة وقالت: أتقولين إن رجلاً في مقتبل السبعين تزوج من فتاة أصغر منك في السن كيف فعل ذلك؟
فنظر لها الجميع في تجهم دون أن تلفظ أي منهن بكلمة واحدة.
وبعد مرور لحظة، قلت: لا عليكن من هذا الحديث، ماذا تريدين أن تشربن؟ قهوة، نسكافيه أم عصير؟

اقتربت منى سندريلا تهمس في أذني متسائلة ما النسكافيه هذا؟
فرددتُ عليها: فيما بعد سأقول لك يا أميرتي كل شيء، لا تسألي الآن عن شيء وتذكري اتفاقنا، أرجوك لا تحرجيني مع صديقاتي.
وبصوت مرتفع عن صوت الهمس الذي كنتُ أهمس به لساندي قلت: سأذهب للمطبخ أنا وساندي، لنعد المشروبات.. أرجوكن لا تعبثن بالغرفة وتأتن بها رأساً على عقب.
وأمسكتُ بيد سندريلا إلى خارج الغرفة؛ أحاول أن أبعدها عن صديقاتي قدر الإمكان، واتجهت نحو المطبخ، وأغلقت الباب خلفي؛ حتى لا تسمع أي من صديقاتي حديثي مع سندريلا.
بدأت سندريلا تعود للحملقة مرة أخرى، كما كانت تحملق بمحتويات غرفتي، ولكنها تحملق في محتويات المطبخ من أجهزة (ثلاجة، بوتاجاز، غسالة أطباق، ميكروويف، وما إلى ذلك من أجهزة وآلات يمكن أن تكون بأي مطبخ بعصرنا اليوم).
حنين: أرجوكِ يا سندريلا لا تحملقي هكذا، إنها آلات حديثة تسهل عمل المرأة في المطبخ، فكل امرأة الآن في عصرنا هذا تسابق الزمن بمثل هذه الآلات؛ فهي تعود من العمل وعليها تجهيز الغداء للأسرة سريعاً، فالحاجة أم الاختراع كما يقولون.
وبصوت هائم ردت: نعم معك حق يا "حنين" الحاجة أم الاختراع، ولكن قولي لي لماذا حملقت في صديقاتك، ثم تجهمن عندما تكلمت عن ذلك الرجل الذي تزوج سبع مرات خلال حياته؟ هل كان سؤالي مشيناً؟!

حنين: لا أن تجهمهن وحملقتهن كانت بسبب أسلوبك في الكلام ولدخولكِ في سياق الحديث دون سابق إنذار أو معرفة بصديقاتي.

سندريلا: أنا آسفة ولكن ذلك الرجل فعل ما لم يفعله رجل من قبل في عصرنا، وكان ذلك تعبيري عن التعجب. آه لو كان هذا الرجل من أحد رعايا المملكة لحاكمته..
توقفتْ عن استكمال كلامها عندما أشعلتُ إحدى عيون الموقد لعمل النسكافيه.
ورددتُ عليها وأنا أعمل: معكِ حق يا ساندي، إنه شخصية عجيبة فعلاً، ولكن ستسمعين الأغرب والأعجب من ذلك؛ فأرجوكِ لا تتدخلي أو تشاركي في أي حديث إلا إذا طلب منكِ أحد ذلك؛ حتى لا تقعي في المحظور أتوسل إليكِ يا ساندي.
سندريلا: ولكني اعتدتُ أن أعطي المشورة والنصح بحكم سلطتي كملكة للبلاد، فهذا أحد واجباتي نحو شعبي.
حنين: ولكن لا تنسي إنكِ الآن ساندي ولست الملكة سندريلا ويجب أن تتعاملي وتتكلمي مع من حولك ومن ستقابلينهم على هذا الأساس؛ حتى لا يفتضح أمرنا؟
كُنت قد انتهيتُ من إعداد النسكافيه ووضعه بالأكواب فقلتُ لها: هيا بنا حتى لا نجعلهن ينتظرننا كثيراً.
حملتُ الصينية عليها أكواب النسكافيه، وطلبت منها فتح باب المطبخ وعدنا لغرفتي حيث تجلس صديقاتي يتحدثن معاً.
وكانت سالي تحكي عن ذلك الشاب الذي خرجت معه بالأمس، حيث تعرفت عليه الأسبوع الماضي في إحدى الحفلات الساهرة التي تذهب لها.. فـ سالي تحب حضور الحفلات والذهاب إلى الأوبرا، بالرغم أنها لا تحب ولا تفهم الغناء الأوبرالي، كما تذهب لحضور الديفيليهات وكل ذلك لتتعرف على أصحاب الملايين والسيارات الفارهة؛ فكل أمنياتها أن تتزوج من رجل ثري؛ فتكون من أصحاب الملايين هي الأخرى.

كانت تروي لنا عما دار من حديث بينها وبين ذلك الشاب الذي يدعى "جاسر"، حيث تعرفت عليه وهى تعلم إنه كان متزوجاً وله ابن من مطلقته، فهي ترمى شباكها لتتزوجه ولا تعبأ بأي شيء آخر ونحن نحاول نصحها ومساعدتها ولكنها لا تسمع.
ولم يقطع حديث سالي سوى رنين تليفونها، فأخذته وخرجت وهى تقول بحركة الشفاه، إنه جاسر، وكانت ساندي تحملق في سالي وفى التليفون وهى تتحدث برقة ورومانسية مفتعلة، والتي لا أدري هل يصدق الرجال هذه الرقة والرومانسية التي تفتعلها سالي أم لا؟!
وبعد أن خرجت سالي من الغرفة تحدثتُ إلى مريم وقلت لها: وأنتِ يا مريم كيف حالك وحال العمل والأسرة والأستاذ منير؟
مريم بصوت فيه شيء من الحزن والاستسلام: الحمد لله كل شيء تمام، ماما وأخوتي في خير حال، والعمل أيضا لا باس به، أما "منير" فأنا لا أعلم شيئاً عنه، والحقيقة أنني تعبتُ من الهجر والوصال، ولم أصل معه لحل نهائي، هل سيتزوجني أم لا؟!
إنه بما يفعله من تهرب بحجة المشاغل وعدم توافر الجو الملائم لإعلان زواجنا يقطع أخر خيوط الحب بيننا.
حنين: أنتِ تعلمين رأيي في "منير" يا مريم من زمان، إنه رجل لا يريد أن يتزوج، وحتى إن فكر في الزوج ستكونين أنتِ أخر من يفكر في الزواج منها، ولا تغضبي مني، إنه كأي رجل مصري شرقي عربي تفكيره محكوم بالعادات والتقاليد التي تربى عليها مهما كان مثقف ومتعلم.
ونظرت إلى فريدة وسألتها: ما رأيك يا فريدة هل أنا على خطأ؟

كانت "فريدة" في تلك الأثناء تحاول أن تتحدث إلى ساندي، وسؤالها عن البلد التي جاءت منها، وكم ستقضي من وقت في مصر، وحاولت إشراكها في الحديث مع مريم؛ لشغلها عن سندريلا.

فردت فريدة: نعم إن كلام حنين صحيح مائة في المائة، كنت أعتقد أن العلم والثقافة والانفتاح على العالم الأوروبي والغربي لمصر وبعض الدول العربية سيغير من نمط وأسلوب التفكير في أشياء كثيرة، مثل النظر للمرأة العربية، وطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة داخل مجتمعاتنا الشرقية، ولكن كانت النتائج سيئة جداً وعلى العكس تماماً، فلم نأخذ من الفكر الغربي سوى أسوأ ما فيه وتركنا مبادئ ومعتقدات كان من شأنها تغير المجتمع العربي؛ ليكون أرقى المجتمعات في العالم كله.
قاطعتها مريم، وقالتْ: يا فريدة ارحمينا من فلسفتك ومقارنتك الدائمة بين المجتمع الذي عشتِ وتعلمتِ فيه ومجتمعنا، هنا أنا أريد حلاً لمشكلتي، ولا أحتاج محاضرة فلسفة.
ردت فريدة: الحل كما قالت لكِ حنين عليكِ أن تتركي منير فوراً، فهو ليس الإنسان المناسب لكِ، وكفاك لهثاً وراء وهم لن يتحقق أبداً.
وعندها بدأت مريم تنتحب بالبكاء، وأحسستُ أنا وفريدة إننا أثقلنا عليها، وإذا بسندريلا تتدخل في الحديث وتقول: لا عليك يا مريم أنتِ فتاة جميلة ومثقفة، لا تطلبي الحب ممن لا يبادلكِ نفس القدر من المشاعر والأحاسيس، غداً ستجدين من يحبك ويطلب ودكِ لا تبكى، فمثل ذلك الرجل لا يُبكى عليه.

عندها توقفت مريم عن البكاء لا بسبب كلمات ساندي، ولكن لأسلوبها في الكلام، والحقيقة إنني أيضا انبهرت بذلك الأسلوب فكان حديث ملكة تقدم النصح والإرشاد لإحدى رعاياها، وأحست سندريلا بذلك الانبهار منا جميعاً؛ فسكتت عن الكلام في نفس اللحظة التي فتحت فيها سالى الباب، ودخلت علينا ممسكة بالموبيل تنهي المكالمة مع جاسر الذي كانت تتحدث إليه.
وقالت: ماذا بكم يا جماعة؟ أأصابكم مكروها؟!

حنين: لا لا أبداً يا سالي، هيا بنا يا جماعة أنا جائعة جداً، فلنذهب إلى أحد المطاعم.
كانت الساعة قد جاوزت الثالثة عصراً.
ورحب الجميع بالفكرة، وكانت "حنين" أخر من خرج من المنزل بصحبة ساندي، وهي متخوفة مما قد يحدث منها، عندما تواجه المجتمع خارج المنزل.
فطلبت من صديقاتي الذهاب للمطعم بحجة أنني سأغلق باب المنزل، وكذلك لأن سيارة فريدة لن تسعنا جميعاً، فسألحق بهن أنا وساندي، بعدما أُخرج سيارتي من جراج العمارة.
وبعد أن خرجت صديقاتي من المنزل التفت إلى ساندى وقلت لها: الآن سنخرج من باب المنزل إلى المصعد، ثم إلى الشارع.. ستشاهدين العديد من الناس، ثم سنستقل السيارة وهى آلة عجيبة، لا تقارن بما كان في زمانكم من عربات الموكب الملكي إنها أسرع بكثير، ولها أشكال وألوان مختلفة، ثم سنصل إلى المطعم؛ لتناول وجبة الغذاء، كل ما أرجوه منكِ أن تلتزمين الصمت والهدوء.

تذكري فقط إنكِ فتاة من القرن الواحد والعشرين، وإن كل ما يدور حولك ليس جديد، وإنكِ رأيته آلاف المرات، تمام يا ساندي؟
وبنظرة ساحرة من عيون سندريلا وابتسامة غامضة ردت: تمام يا حنين.
وانطلقنا من باب الشقة إلى باب المصعد، وبعد أن ضغطتُ على زر النزول بالمصعد، وأغُلق الباب؛ فإذا بسندريلا تصرخ من الفزع، وتمسك بذراعي وتقول: يا إلهى ما هذا الذي يحدث؟ أهو زلزال؟ يا رب ساعدنا.
رددت وأنا أضحك: إنه المصعد وليس زلزال، اهدئي، وتوقفي عن الصراخ يا ساندي.
ردتْ: وما هذا المصعد بحق السماء؟!

جاوبتها: إن منزلي في الطابق السادس عشر كيف كنا سننزل للطابق الأرضي بدون المصعد؟! أنه أحد الآلات الحديثة لمساعدة الناس على الصعود والنزول من الطوابق العليا.
كنت أقول ذلك وأنا أمسك بيدها، وهي تسير بجواري بخطى متباطئة، تنم عن الخوف والارتباك، ولا تزال تفكر، فيما قلت لها إلى أن أصبحنا في مدخل البرج الذي أسكن فيه.

وفى الوقت الذي كنتُ أبحث فيه عن "عويس" مسئول الجراج بالبرج؛ ليخُرج السيارة وكانت سندريلا ترفع نظرها إلى أعلى البرج، وتقول: أين منزلك يا حنين من بين هذه الطوابق المتعددة؟
جاوبت وأنا أشير بيدي إلى أعلى: منزلنا بهذا الطابق الممتلئ بالأزهار والشجيرات الصغيرة المتدلية منه، فأخي "معتز" يهوى الأزهار ويملأ المكان بها كما ترين.

وأكملت ساندى تقول: إن منزلكم مرتفع جداً.. يذكرني بقصر الأحلام حيث أذهب إليه كثيراً، فهو أكثر الأماكن رومانسية بالنسبة لي ولزوجي؛ حيث شهد هذا القصر أول لقاء لنا كما كان شاهداً على حبنا وزواجنا وعشت فيه أجمل أيام حياتي قبل أن أصبح ملكة وتحوطني أعباء ذلك اللقب وهمومه ومشاكله.

يقع قصر الأحلام على أطراف المدينة وعلى حافة النهر، حيث تتدفق المياه من حوله وبالقصر حديقة غناء تحوط به من كل جانب، ثم يظهر بهو القصر من بعيد بأرضياته الناصعة البياض بلمعان المرمر، أنه ليس الأفخم من بين قصور المملكة، ولكنه مليء بالحيوية، كل شيء فيه يتناغم مع بعضه، وكأنه لحن جميل لأجمل أغاني الحب والعشق، عشت سنوات بذلك القصر، لم أشعر فيها بمرور الزمن، لم أرَ فيها غير الحب والود والحنان، سنوات

عوضتني ما عشته من قسوة وتعاسة وبؤس قبلما أقابل زوجي وملكي، فتحولت حياتي من شقاء إلى سعادة لم أكن أحلم بها.

حنين: ياه يا سندريلا، أخذتني معكِ لعالم الأحلام وقصر الأحلام، عندها تنبهت سندريلا وكأنها تفيق من حلم جميل وقالت: هيا بنا لقد تأخرنا جداً على صديقاتك اللاتي ينتظرونا بالمطعم.
وتنبهت بدوري إلى ما قالته ساندي وعقبت: فعلا سوف يقتلونني على هذا التأخير.
وفي نفس الوقت الذي كنتُ أقول فيه هذه الجملة الأخيرة كان مسؤول الجراج قد أحضر لي السيارة وأوقفها أمامي وقال: ها هي السيارة يا آنسة "حنين" أي خدمة أخرى؟

حنين: لا شكراً يا عم عويس أنا لن أتأخر أترك مكاني بالجراج خالياً حتى أعود.
رد عويس: حاضر يا ست البنات مع آلف سلامة.
نظرت لسندريلا؛ فوجدتها تحملق للسيارة دون أن يتحرك لها جفن، فاقتربت منها وقلت:
هاى ساندي، أركبي السيارة.
وفتحت لها الباب حتى لا يلتفت إلينا عويس، الذي اتجه لمكانه الذي اعتاد الجلوس فيه أمام بوابة الجراج، ودفعتها دفعة بسيطة داخل السيارة نحو الكرسي المجاور لكرسي القيادة؛ لتجلس به وأغلقت الباب، وهى في حالة انبهار.
وركبت بكرسي القيادة، ثم أدرت السيارة، وهى لا تزال تحملق في محتويات السيارة، وبعد لحظات تكلمت وقالت: أهذه الآلة هي ما تطلقون عليها سيارة، أي إنها آلة متطورة بتطور الزمن لمركبة القصر الملكي التي تجرها مجموعة من الخيول؟! يا له من تطور مذهل يأخذ العقل آخذاً.

حنين: نعم إنه عصر الآلات المعقدة يا ساندي، لقد استبدلنا الخيول بموتور أقوى وأسرع من سرعة الخيول بكثير، هيا اربطي حزام الأمان؛ كي ترِي سرعة هذه السيارة، ولكن أرجوكِ ألا تصرخي هذه المرة.
ولم تستطع ربط حزام الأمان فربطه أنا لها بعد ربط حزامي وانطلقت بالسيارة، وأدرت جهاز الكاسيت في نفس الوقت حتى إذا ما صرخت ساندي لا يظهر صوتها بوضوح.
وكما توقعت ما إن تحركت السيارة حتى أخذت ساندي في الصراخ فزعاً، وأنا أحاول أن أخفف عنها، بأن أجعلها تنظر من خلال نافذة السيارة؛ لتجد الكثير من السيارات تسير بجوارنا دون أي توتر أو إزعاج، وبعد فترة استقرت حالتها، وكنا قد وصلنا إلى المطعم، وركنت السيارة أمام المطعم، وكان ذلك من حسن حظي أن أجد مكاناً خالياً أضع به السيارة. صعدنا درجات السلم وساندي بيدي.. أخاف أن أتركها، وعبرنا باب المطعم لأجد صديقاتي يتناولن الطعام.
فنظرت لهم وقلت: أيها الأنذال لماذا لم تنتظروننا؟
سالي: انتظرنا طويلاً ولم نستطع الانتظار أكثر من ذلك، وحاولنا الاتصال بكِ على الموبيل ولكنكِ لا تردين.
حنين: آه لقد نسيت الموبيل في المنزل.
مريم: على كل حال إننا لم ننته بعد، هيا أطلبي لك أنتِ وصديقتك ساندي الغذاء؟
حنين بصوت غاضب؛ لأن صديقاتها لم ينتظرنها؛ لتناول الغداء معاً: ماشى يا كلاب.
سهام: شكراً، كلكِ ذوق وأدب يا حنين.
حنين: طبعاً، أنا مؤدبة ولا جدل في ذلك.
ساندي: اتركونا من العراك يا فتيات ودعونا نأكل، أنني أتضور جوعاً.
حنين: هيا بنا يا ساندي لنطلب الطعام.

ساندي: ولماذا لا يأتي شخص ونطلب منه ما نريد؟
سالي تضحك وتشير إلى ساندي وتقول: دي نكتة بايخة يا ساندي.
حنين: تعالى معي يا ساندى و"سيبكِ منهم".
ساندى: هيا بنا يا حنين.

وقفت ومن بعدي ساندي، واتجهنا إلى الكاشير، وطلبت وجبتين غذاء، وانتظرت حتى ملأ الصينية وحملتها وعدت بها أنا وساندي إلى الطاولة التي تجلس بها صديقاتي.
وكنا نأكل منهمكات في الحديث عن مجريات أمور كل منا وكانت صديقاتي يختلسن النظر إلى ساندي من حين لآخر لطريقتها الغريبة والتقليدية جداً في تناول الغذاء، ويتغامزن بطريقتهن المعتادة.
ثم رن جرس التليفون، فأخذت كل واحدة منا تبحث عن تليفونها للتأكد لمن هذا الرنين وأخيراً سمعنا صوت فريدة ترد: الوووو أهلاً وسهلاً إبراهيم كيف أحوالك؟ آه أنا الحمد لله تمامWOW باليه سندريلا Wonderful، Sure أحُب حضوره.

وهنا تتوقف سندريلا عن الطعام وتعود للحملقة في فريدة؛ فأمسكت "حنين" بيد ساندي؛ لتشعرها بنوع من الآمان وفى نفس الوقت وجدتها فرصة؛ لجعل سندريلا ترى الباليه الذي يجسد قصتها.
وانتبهت لأقول لفريدة: قولي له ثانية واحدة.
فريدة: ثانية واحدة يا "إبراهيم".
فريدة تنظر لـ "حنين" وتقول: نعم يا "حنين".
حنين: اطلبي من "إبراهيم" تذاكر الباليه لي أنا وساندي.
فريدة: حاضر.

ثم عادت فريدة للحديث مع إبراهيم، وهو صديق لفريدة كان يدرس معها في إنجلترا، وعادا معاً إلى وطنهم "مصر" حيث يعمل إبراهيم

الآن صحفي في إحدى المجلات المصرية التي تنشر بالإنجليزية في مصر والدول العربية وبعض الدول الأجنبية أيضا.

وبعد انتهاء المكالمة مع إبراهيم كنا قد انتهينا من الطعام جميعاً وكانت ساندي لا تزال في حالة دهشة؛ فسارعت إلى الخروج من المطعم مع صديقاتي؛ لأجد فرصة للحديث مع ساندى على انفراد.
وقلت: هيا بنا ننطلق في جولة بالسيارات، كي ترى ساندي القاهرة، ثم نعود بعد ذلك للمنزل.
سالي: آسفة ولكن أنا أريد الذهاب للكوافير، لأني سأقابل "جاسر" في ديفيليه بالمساء، ليس لدي وقت لهذه الجولة.
ثم قالت سهام: أنا أيضا يجب أن أعود للمنزل مبكراً، فأنا أريد الاستمتاع بكل دقيقة مع زوجي في منزلنا.
ضحكت وضحكنا جميعاً معها.
عقبت فريدة: تمام سنوصل سالي للكوافير وسهام لمنزلها، ثم ننطلق أنا ومريم وأنت وساندي معا في الجولة يا "حنين".
حنين: تمام هيا بنا.

وانصرفنا معاً وركبنا السيارات كما جئنا، وعندما ركبت أنا وساندي السيارة، وبدأ الحديث بيننا:
سندريلا: ما هذا الباليه الذي كنتما تتحدثا عنه أنتِ وفريدة؟
ابتسمت ونظرت لها وأنا أدير محرك السيارة وقلت: كنت انتظر هذا السؤال منكِ.
واستكملت حديثي وهى لا تزال تنظر لي ولا ترفع ناظريها عني منتظرة الرد على سؤالها وقلت:
إن الباليه نوع من أنواع التمثيل الصامت يعبر عن قصة ما بالرقصات على أعظم الألحان الموسيقية لأعظم موسيقي العالم ولذلك يطلق على الباليه أرقى الفنون، ولان سندريلا الأسطورة

قصة عظيمة؛ فقد قامت الكثير من فرق الباليه العالمية والمحلية أيضاً بتمثيل هذه القصة، قصتكِ يا ساندي.
ساندي: آه فهمت وكيف تعرض هذه الفرق قصتي؟
حنين: الإجابة على هذا السؤال سترينها بنفسك عندما نذهب لحضور العرض كما اتفقت مع "فريدة".
ساندي تعقب: مع ذلك الشاب الذي تحدثت إليه فريدة في ذلك الذي تسمونه موبيل؟!
حنين: نعم هو بالضبط كما قلت، سنذهب مع "إبراهيم".
وكنا قد وصلنا لمحل الكوافير، وخرجت سالي من سيارة فريدة، ثم ذهبنا لتوصيل سهام إلى منزلها، وعندها تذكرت أنني قد نسيت تليفوني المحمول بالمنزل، ولكن انبهار ساندي بما تراه من حولها من نافذة السيارة؛ جعلني أجوب الشوارع والميادين كي ترى ساندي الكثير من عالمنا هذا، فأنا لا أعرف متى ستنتهي رحلتها إلى عالمنا هذا.
مررنا وطفنا لأكثر من ثلاث ساعات حتى تعبت أنا وفريدة من القيادة وحل الظلام وبدأت أنوار المدينة تضاء.
وهنا قالت ساندي: لقد غابت الشمس وظهر القمر ولم يحدث أي تغيير على تلك الشوارع الناس لا تزال تغدو وتروح، وكأن شيئاً لم يحدث لماذا؟

حنين: إنها القاهرة يا ساندي، المدينة التي لا تنام كما يطلقون عليها، أن القاهرة من أكبر عواصم العالم، شوارعها مضاءة ليل نهار، مزدحمة بالناس ليل نهار أيضاً.
ساندى: أرى ذلك يا حنين المئات من الناس تتدفق من الشوارع والميادين، إضاءة في كل مكان، أظن أنك قد تعبت من قيادة هذه الآلة هيا بنا لنعود لمنزلك ونكمل حديثنا هناك..

وعندها لوحت لفريدة؛ لتقف بسياراتها على جانب الطريق لنتحدث.

ووقفت بسيارتي وراء سيارة فريدة، ثم توجهت نحو فريدة، وقلت لها: هيا بنا لنعود للمنزل لقد تعبت من القيادة.
فريدة: نعم لقد تعبت أنا أيضا، ولكن لا أستطيع الذهاب معك؛ لأن "ماما" طلبتني في التليفون، وقالت إنها تنتظرني في المنزل لأمر عاجل.
فنظرت إلى مريم وقلت: وأنتِ ماذا ستفعلين؟
مريم: كفاية عليك ساندي يا ست "حنين" أنا مش عارفة طلعتلنا منين؟!
كان كلامها ينم عن استفهام حول ساندي وسبب ظهورها المفاجئ
وقلت: ده مش وقت استفسارات يا ست "مريم"، بعدين نتكلم.
مريم: أنا مش في المود سأذهب لمنزلي أحسن.
وكانت هذه فرصة مناسبة لي لأعود للمنزل مع ساندي؛ لنتحدث سوياً على انفراد.
فقلت: أوكى يا جماعة أشوفكم على خير باي

وأشرت لهم بيدي وأنا اتجه عائدة لسيارتي وركبت وكانت فريدة قد انطلقت في طريقها وبعدها انطلقت في طريقي للمنزل.
توقفت بالسيارة أمام الجراج، حيث كان "عم عويس" جالساً في نفس المكان الذي تركته فيه منذ ساعات، وهب واقفاً عندما رأى سيارتي أمام مدخل الجراج، ثم توجه إلى السيارة حيث كنت أخرج منها أنا وساندي، فركب هو السيارة وقادها إلى داخل الجراج، وفى تلك الأثناء كنت أنا وساندي ننتظره؛ ليعود بالمفاتيح أمام مدخل البرج.

وكانت ساندي تتأمل ما يدور حولها في دهشة وإعجاب لقد أعجبها عصرنا منذ الوهلة الأولى وأدهشتها الثورة التكنولوجية والحياة العصرية التي نعيشها اليوم، وذلك القدر الهائل من الحرية التي حصلت عليها المرأة "بصورة شكلية فقط" وأرى في عينيها أمنية،

بأن لو كانت تعيش ذلك العصر بدلاً من العصر الذي ولدت وعاشت فيه.
ها هو "عويس" قد عاد بالمفاتيح، التقطها منه واتجهنا إلى المدخل، ثم إلى المصعد الذي تأثرت به في الصعود كما كان الحال عندما نزلنا منه منذ بضع ساعات، ثم أدرت المفتاح بباب الشقة ودخلنا، وأتضح لي أن أحداً لم يعد حتى الآن، لا أمي ولا أخي، فاتجهتُ إلى غرفتي تتبعني ساندي، حيث كان الموبيل يرن في تلك الأثناء كانت "مامى" تطمئن عليّ، فقلت لها أن صديقاتي ذهبن ولكن معي صديقة واحدة ستمكث معي.
وقالت أمي: أنها لا تزال بالنادي مع صديقاتها وأنها ستأتي بالمساء.

وبعد انتهاء المكالمة نظرت لساندي قلت لها: لماذا تقفين هكذا؟! لنتحدث في أي مكان يعجبك
فنظرت حولها واختارت كرسي المكتب لتجلس عليه، وكنت في تلك الأثناء أبحث في حقيبتي عن علبة السجائر والولاعة، وأشعلت سيجارة، وجلست أمام ساندي على طرف السرير، فبدأت هي بالسؤال: قلت لي ما اسم هذا الذي يرن وتتحدثين فيه

حنين: إنه الموبيل أي تليفون استقبل وأرسل منه مكالمات مع أفراد غير متواجدين في نفس المكان معي، أي أنه بمعنى أصح وسيلة اتصال بين الناس.
ساندى: آه فهمت الآن، إنه مقابل للمرسال الذي كنا نستخدمه في زماننا، كنا نقوم بتبادل الرسائل عن طريق شخص، وظيفته الوحيدة هي حمل الرسالة من شخص إلى آخر، ويجب أن تتوافر فيه الأمانة وكتمان الأسرار والحفاظ عليها، حتى وإن كلفه ذلك حياته، يا له من عصر مذهل عالمكم هذا، إنه تطور مذهل في وسائل الاتصال.

حنين: أتعجبك الحياة التي نحياها يا ساندي؟
ساندي: طبعاً بلا شك، يا ليتنا في عصرنا كنا نملك مثل تلك الآلات والتكنولوجيا المتطورة كانت ستغير من مجريات أمور كثيرة نعيشها.

حنين: لا تتسرعي في الحكم من الظاهر فقط يا ساندي؛ لأنه رغم كل تلك الآلات والتكنولوجيا المتطورة كما تقولين إلا أن الحياة العصرية هذه بها الكثير من السلبيات وأوجه القصور التي تجعلنا أكثر تعاسة منكم، وكل منا يحمل بداخله هموم تثقل كاهله وتجعله عاجزاً عن الشعور بالسعادة.
ساندي: ماذا تعنى بكلامك هذا يا "حنين" أنا لا أفهم شيئاً؟
حنين: أعني أن تتركي الحكم على هذه الحياة العصرية حتى تريها كاملةً، إنكِ شاهدتِ الجزء البراق منها فقط ولم تري بعد الجزء المظلم.
ساندى: الجزء المظلم؟! وأين يقع ذلك الجزء؟
حنين: في قلوب الناس وعقولهم.
ساندى: ماذا؟

حنين: نعم إن ما أقوله هو الحقيقة، إنكِ رأيتِ الظاهر فقط.. تعالي معي وتعمقي في تلك التكنولوجيا وما ورائها، سترين أن عصركم أجمل من كل العصور التي تلته، فنحن نسميه عصر الرومانسية، سوف أبّرهن لك يا ساندي إن عصر الرومانسية أعظم بكثير من عصر التكنولوجيا هذا.
ساندى: كيف؟!
حنين: الأمر غاية في البساطة أنتِ من عصر الرومانسية وأنا من عصر التكنولوجيا، فلنعقد مقارنة نصف عملية لأنكِ ستشاهدين بنفسك عصرنا أما أنا سأسمع فقط عن حكاياتك، اتفقنا يا ساندي؟
ساندي: اتفقنا من أين نبدأ إذن؟

حنين: نعمل قرعة.
ساندى: موافقة.

حنين تحضر عملة معدنية كانت موجودة على المكتب وتطلب من "ساندى" اختيار أحد الوجهين للعملة، وتقوم "حنين" باختيار الوجه الآخر للعملة وتقذف بها في الهواء بحركة معروفة لدى الجميع عند القيام بعمل قرعة، ثم تلتقطها بيدها الأخرى وتطبق عليها كلتا يديها، وتراقبها ساندي لمعرفة من منهن سيبدأ العرض أولاً.

وكانت البداية من نصيب "حنين" في هذه المقارنة بين عصري الرومانسية والتكنولوجيا لمعرفة أي من العصريين أعظم.
وبدأت "حنين" تسرح بناظريها بعيداً شاردة الفكر تبحث عن بداية فلم تعرف من أين تبدأ؟!
فسالت ساندى: ماذا تريدين أن تعرفي عن عصرنا؟ فأنا لا أعرف من أين أبدأ الحديث وأسئلتك سوف تساعدني.
ساندى: إن محور حديثنا سيكون عن العلاقات الإنسانية وخاصاً العلاقة بين الرجل والمرأة، فحدثيني إذن عن الرجل في حياتك وما يمثله لكِ؟ وما هو شكل العلاقة بينكما؟ أقصد علاقة الحب طبعاً.
حنين: آه يا ساندى لقد لمستي الوتر الحساس والذي أحاول الهروب منه دائماً، إنني أعمل بكد ونجاح وإخلاص وأمنح كل وقتي للعمل، حتى لا أعطى نفسي فرصة للتفكير في الماضي حيث لا يوجد في الحاضر ما يثير الاهتمام أكثر من العمل.
ساندى: هل أفهم من ذلك أنه ليس هناك من يسكن قلبكِ وعقلكِ؟
حنين: لقد مررت بتجارب حب ليست كثيرة، ولكنها كانت كافية لرفض أي تجربة جديدة، إنني أرفض الصورة الحالية للحب، وغير قادرة على ممارسة الحب كما يفعل الناس من حولي اليوم، فمعنى الحب عند الناس تغير كما تغيرت أشياء كثيرة، قد يكون له معنى

ومسمى آخر غير الحب مثل التسلية، تضيع وقت، أحسن من مفيش، أبو بلاش كتر منه، أي إنه زمن الحب تيك اواى.
ساندى: ماذا؟! تيك اواى؟ تضيع وقت؟!
حنين: نعم هذه المسميات تطلق على الحب في عصرنا هذا.
ساندى: وما مدلول هذه المسميات؟
حنين: إنها تعنى الحب السريع، كل شيء أصبح يتسم بالسرعة حتى المشاعر والأحاسيس، إنها سمة العصر.

لقد أصبح الواحد منا يحب بسرعة ويمر بالتجربة بسرعة مذهلة ثم تنتهي العلاقة بنفس السرعة، وكأنها وجبة سريعة على الطريق، فالكل يمر بما يشبه حالة حب، ولكنه ليس بحب، كيف يكون محب وهو يمر بعشرات العلاقات خلال فترة وجيزة من حياته؟ وكيف يمكن أن نسمى ذلك حباً؟! كان علي بالطبع أن أرفض هذا النوع من الحب أو ما يسمونه حُباً، أنني أفضل أن أكون وحدي بدلاً من ممارسة الحب "التيك اواى".
ساندي: ولكنكِ لن تحتملي الوحدة لمدة طويلة، فالإحساس بالوحدة قاتل.
حنين: أحياناً تكون الوحدة أرحم من حبيب غادر أو خائن.
ساندي: نعم هذا صحيح وفى هذه الحالة تكون الوحدة أرحم، ولكن الحياة لن تتوقف عند حبيب غادر أو خائن، أكيد هناك الحبيب الحقيقي المخلص.
حنين: عندكِ حق، وهذا ما يعطيني الأمل في الغد، الأمل في لقاء الحبيب الذي يدرك المعنى الحقيقي للحب كما أدركه أنا.
ساندي: إذن حدثيني عن الماضي وكيف كانت علاقاتكِ السابقة؟
حنين: أول معرفتي بالحب كانت على يد مطرب مشهور في عصرنا هو العندليب الأسمر كما يطلق عليه الناس "عبد الحليم حافظ".. عندما ولدت أنا كان قد توفى، ولكنه يعيش في قلوب الناس، يعلمهم كيف يكون الحب من خلال صوت دافئ يحمل كل معاني الحب،

ولكن عند الاحتكاك الحقيقي لي مع أول تجربة حب تحطمت هذه الصورة التي كنت أراها وأحلم معها بالحب وبدأت الصورة تتغير وتتغير، حتى أصبح الحب الذي عرفته وهماً باعوه لنا وصدقناه أما الحقيقة فكانت مؤلمة، ولا تمت للحب بأي صلة.

وقبل أن أكمل حديثي دق جرس التليفون وإذا بها فريدة تقول: إن إبراهيم حجز لنا حفلة باليه سندريلا غداً التاسعة مساءاً.
فقلت لها: أننا سنكون أمام المسرح الكبير بدار الأوبرا قبل التاسعة إن شاء الله.
وبعد انتهاء المكالمة عدت لحديثي مع ساندي.
ساندي: وكيف كانت الحقيقة مؤلمة؟
حنين: كان ذلك منذ سنوات طويلة، تعرفت بشاب وسيم وذكى، كان زميل لي بالجامعة، وما إلى ذلك من مواصفات؛ جعلتني أرى فيه الشاب الذي أحلم أن يشاركني الحياة، ولم أكن أعلم أنني وقعت فريسة لشاب جعل مني دمية يلعب بها ليس إلا، قال ليّ إنه يحبني، ولم أكن أعرف أنها كذبة إلا بعد مرور أكثر من عامين على علاقتي به التي أنهاها؛ ليتزوج من أخرى، قال إنه أحبها.
ساندي: وماذا حدث بعد ذلك؟
حنين: عرفت من أحد أصدقائه أنه تزوج بالفعل من هذه الفتاة عقب حصولنا على الشهادة العليا، وكانت هذه أول صدمة في حياتي العاطفية، انتقلت على آثر سماعي لهذا الخبر إلى المستشفى؛ لتلقى العلاج من صدمة عصبية، عدتُ للمنزل بعد شهر، وأستمر العلاج لمدة ستة أشهر أخرى، وساعدني على الشفاء اندماجي في العمل، والذي كنت أقضى فيه معظم وقتي بناءً على تعليمات الدكتور المعالج لي، حيث نصحني بأن أشغل كل وقتي بالعمل للخروج من هذه الأزمة.

لقد كنتُ أشبه بمجنونة، وبهذا ضاع من عمري عامان في تجربة كُنت أنا ضحيتها، أما هو فقد عاش حياته ونجح فيها دونما أن يدرك أنه تسبب في صدمة لي أو ربما أدرك ولم يعبأ، فالذئب لا يعبأ بألم الفريسة، المهم أنه أشبع جوعه.
ساندي بعيون مليئة بالدموع تقول: يا له من إنسان غادر لا يعرف معنى الحب وليس في قلبه رحمة.
حنين: كنت أدعو الله في كل صلاة أن يصيبه البلاء، وأن يذوق من نفس الكأس الذي أذاقني مرارته، وأن أراه ذليلا. وبالفعل كان عقاب الله له بأن تزوج من امرأة عاقر لم ولن تنجب له أبناء.
ساندي: وهكذا انتهت القصة تلك النهاية البشعة!
حنين: نعم، وهكذا قررت أن أكُرث حياتي للعمل وتحقيق ذاتي من خلال النجاح في العمل، ومرت ثلاث سنوات على هذا المنوال وأنا سعيدة بإنجازاتي في العمل رافضةً أن أمر بتجربة جديدة تكون نهايتها مشابها للنهاية السابقة، كلما كُنت أشعر أنني مقبلة على تجربة جديدة، كنت أُذكر نفسي بالأيام التي قضيتها بالمستشفى، وكيف كانت حالتي؛ فأهرب وأهرب بكل ما فيمن قوة، ولكن لم أقوَى هذه المرة على الهروب.
ساندي: إذن كانت هناك علاقة أخرى؟
حنين: كانت هذه القصة مختلفة، ولكن لم يجعلها ذلك نهاية سعيدة، بل كانت نهاية مؤلمة أيضاً.
ساندي: كيف كان ذلك؟
ساندي: تعرفت على "كريم" في إحدى قنوات الدردشة على الإنترنت وتبادلنا الحديث بعد ذلك عبر الهاتف، ثم كان اللقاء وجهاً لوجه ولقد وقع كلاً منا في غرام الآخر من أول نظرة كما يقولون، رغم علمنا بالمعوقات التي ستقف حائل أمام هذه العلاقة.
ساندي: وما هي تلك المعوقات؟!
حنين: كان "كريم" يعمل كابتن طيار بإحدى شركات الطيران المصرية ويصغرني بثلاث سنوات، والده متوفي وله أم متسلطة

تسيطر عليه بكل الطرق وتتحكم بإرادته وأمواله أيضاً، حيث قام والده بتسجيل الميراث بيع وشراء باسم الأم في الشهر العقاري قبل وفاته؛ حتى يتجنبوا إجراءات المحاكم، كما أن له أخاً مستهتراً، يغار منه، فكان كل ذلك يجعل من استمرار العلاقة شيء اسمه المستحيل.
ساندي: يبدو أنها فعلاً قصة مختلفة.
حنين: لقد قلتها لكِ من البداية.
ساندي: وكيف فشلت هذه العلاقة وأنتِ تقولين أن كلاً منكما وقع في غرام الآخر من أول لقاء؟! أحكي لي القصة من البداية
حنين: كانت البداية لقاء صدفة على الإنترنت
ساندى: صدفة!
حنين: نعم، صدفة وأي صدفة تلك! ما أجملها من صدفة وما أروعه من لقاء، ما أجمل الكلمات عندما احتضنت عيناه عينيّ وقالت ما لم تستطع شفتاه قوله، وردت عيناي دون أن أدرى، ما أجمل اللقاء عندما لامست يده يدي، فكدت أن أملك الدنيا كلها في لحظات، ما أجمل عيناه، عشقتهما من أول نظرة، وسأظل أعشقهما ما حييت، لم يكن حُلم بل صدفة، أجمل من أي حُلم،
آه لو كانت اللحظات دقائق أو ساعات، آه لو كان العمر كله لحظات.

لا أستطيع أن أصف لكِ مدى سعادتي عندما صرح لي كريم بحبه أول مرة، يومها لم أنم، لم أكن أصدق أنه نطقها أخيراً، لقد أحببت فيه كل شيء، هدوءه، طيبة قلبه، حنانه، دفئ مشاعره، التي كنت أراها في عينيه دون أن ينطق بها، فرغم فارق السن بيننا إلا أني وجدت فيه ما لم أجده فيمن هم أكبر سناً منه، أحسست أني بحلم جميل لا أريد الاستيقاظ منه. كُنت على علم أني سأتعذب عندما أبتعد عنه، فعقلي دائماً يذكرني بأنه لابد من الفراق يوماً ما.
ساندي: ولماذا كل هذا إذن؟!
حنين: كان أول سبب أخوه "أحمد" والدته، فنقص موارده المالية.

ساندي: وكيف كان أخوه سبب رئيسي في فشل العلاقة؟!
حنين: كان أحمد الأخ الأكبر لـ "كريم" مستهتر ويغار من "كريم" فقد حاول أن يقيم علاقة معي، بل والأعجب من ذلك، أنه طلب يدي للزواج، وكان ذلك فخ.. كنت سأقع فيه ولا أدرى كيف كنت سأخرج منه، أخفى عنى أنه متزوج وله بنت لا يتعدى عمرها الثالثة، ولكن القلب وما يريد، فكان قلبي يميل إلى "كريم" رغم كل شيء، وعندما أحس "أحمد" بهذه العاطفة المتبادلة بيني وبين "كريم" قرر أن ينهى هذه العلاقة، ونجح فعلاً بمساعدة أمه التي كانت ترفض أن يخرج ابنها الصغير من تحت عباءتها وتكون له حياته المستقلة بعيداً عنها، وعندما صرح "كريم" برغبته في الزواج مني، قامت الدنيا ولم تقعد إلا بانتهاء العلاقة بيننا.
ساندي: ولماذا أقبلتي على علاقة محكوم عليها بالإعدام مسبقاً؟
حنين: كُنت أحبه، وكان قلبي متعطشاً للحب والمشاعر بعد أن جف لسنوات طويلة وقرب الإحساس على التجمد، كنت متلهفة إلى أن يدق قلبي؛ كي أشعر أنى لازلتُ على قيد الحياة، كُنت بين ناريين، هل أدفن نفسي وأحرم نفسي من الحب وأستسلم للخوف من الفشل؟ أم أعيش قصة حب حتى ولو كانت النهاية مؤلمة؟ هو أيضا كان في صراع مع نفسه لنفس الأسباب ولكن قرر كلاً منا أن يمر بالتجربة مهما كانت النهاية، كُنت في منتهى السعادة معه وعشنا أجمل أيام حياتنا، أعطاني الأمل والثقة بعدما كنت قد أغلقت الأبواب أمام الحب، جعل لساني ينطق، حرك مشاعري، كان حبه أقوى من الخوف ولكن كل خطوة كنت أخطوها كانت تقربني من النهاية.
ساندي: لماذا؟!
حنين: لأن الحذر لا يمنع الخطر يا أميرتي.
ساندي: الخطر!
حنين: نعم الخطر الذي كنت أعلم انه آتٍ لا محالة يوماً ما، ففي يوم من الأيام وبعد أن عاد كريم من رحلة عمل بفرنسا، ثم كندا لمدة أسبوعين، فبدلا من أن يقابلني بالأحضان والقبلات أرسل لي رسالة

عبر الإنترنت يقول فيها: إنه لازال يحبني جداً بل وأكثر من أي وقت مضى، ولكنه لا يستطيع الاستمرار في علاقته معي لأنه لن يستطيع الزواج مني؛ ولذا فقد قرر أن يبتعد.
كانت صدمة قوية لم يحتملها قلبي أو عقلي، لأول مرة ترفض الدموع أن تنزل تجمدت الدموع في عينيّ، قرأت رسالته عشرات بل مئات المرات، ولا اعرف ماذا أفعل؟! ظللتُ هكذا لمدة أسبوع، ثم أرسلت له رسالة عبر الإنترنت، ليكون ردي بنفس الطريقة؛ ليشعر بما فعله بي عندما قرأت رسالته وبعد أن قرأ رسالتي، اتصل بي تليفونياً طالباً أن أسامحه وألا أكرهه، فهو مرغم على إنهاء العلاقة.

لقد كان طلب كريم الأخير أن نظل أصدقاء فقط ولا أكرهه، يحيرني هل كان يحبني فعلاً؟ هل كنت أمثل شيئاً في حياته أم مجرد فتاه قابلها صدفة، ثم أصبحت ذكريات، هل كان حب "تيك اواى"؟! أم أنها الظروف فعلاً؟!

وهكذا كان كريم بالنسبة لي كُحلم انتهى، ثم استيقظت لأجد نفسي داخل قلعة الأحزان المهجورة، أمشي خلال سراديبها المظلمة الموحشة، بهوائها البارد، وضوئها الخافت، وجدرانها الصماء، وحيدة أنا في قلعتي. آه يا قلعتي إلى متى سأظل سجينة؟ لا أسمع إلا صدى تنهداتي، بكائي، صمتي، حتى الصمت له صوت في هذه القلعة الحزينة، ألهث وراء شعاع نور يضئ لي الطريق إلى خارج القلعة، ولكن القلعة الآن أفضل مكان بالنسبة ليّ، تعجبني الوحدة رغم قسوتها؛ لأنها تريحني من العذابات خارج أسوار القلعة.
ساندي: قلعة الأحزان المهجورة أين هي؟
حنين: أنها بداخلي يا ساندي، حفرت سراديبها بيدي.
ساندي: كيف استطعتِ بناء قلعة بأكملها وحدك؟ وأين هي؟!

حنين: إنها ليست قلعة كالقلاع التي بعصركم، ولكنها قلعة من نوع آخر، قلعة تقع في كهوف العقل وبين ثنايا القلب الجريح، وبعد ذلك دخلت دائرة الألم، وخرجت منها بعد فترة طويلة أكثر رفضاً للحب في حياتي.

ساندي: دائرة الألم؟! ماذا تقصدين بها؟

حنين: أقصد الحزن، فالوحدة، فالاكتئاب يعقبهما محاولة انتحار، ثم فترة علاج بالمستشفى، تلك هي دائرة الألم يا ساندي، خلال هذه الفترة تغيرت ملامحي، ولم أستطع التعرف على نفسي، كنت أشبه بفراشة تطير وتحلق في السماء من بستان لبستان، تطير في سعادة وفرحة بين الزهور والأغصان، ولكنها الآن ما عادت تطير، ذبلت الزهور، وأصبحت الأغصان أشواكا تجرح الفراشة، فهوت على الأرض تدوسها الأقدام، لا يشعر بأناتها إلا هي ولا يسمعها أحد أو يرثى لحالها، فلا هي ماتت ولا هي قادرة على الطيران من جديد.

ساندي: وهل أصبحتما أصدقاء في النهاية كما طلب منكِ؟!

حنين: بالطبع كان ذلك مستحيلا.

ساندي: لماذا؟

حنين: أولاً لأن الدكتور المعالج رفض أن أرى أو أسمع شيئاً عن كريم أثناء فترة علاجي بالمستشفى التي استمرت ستة أشهر، وبعد ذلك قابلته صدفة أمام إحدى دور السنيما، وقال لي إنه خطب فتاة أخرى يحبها جداً وسعيد في حياته معها وتمنى لي التوفيق في حياتي. فالبداية كانت صدفة وكذلك النهاية...

ساندي: ألذلك طالت فترة علاجكِ؟!

حنين: نعم فعلى أثر تلك المقابلة عدت مرة أخرى للمستشفى ومكثت هناك ثلاث أسابيع.

ساندى: إنه ليس آدمي بالمرة ليفعل بكِ ذلك، ثم يعيش حياته وكأن شيئاً لم يكن.

ساندى: وهكذا كانت النهاية؟!

حنين: نعم، هكذا كانت النهاية.

ساندى: ولكن لماذا لم يصر على رغبته إن كان يريدكِ فعلاً، ولماذا استسلمت أنتِ لهذه النهاية مادمت تحبينه كل هذا الحب؟!
حنين: لأن عصرنا يختلف عن عصركم يا أميرتي، فلا مكان للتضحيات من أجل الحب، بل إن التضحية بالحب في سبيل أشياء مادية أخرى هو الاحتمال الوحيد القائم، هذا هو زماننا الذي بهرك وأعجبك.
ساندي: ولكن الحب والمشاعر والأحاسيس شئ غير قابل للتغير من عصر لعصر، فكيف تغير في عصركم؟
حنين: إنه لم يتغير فجأة، ولكن كان التغير تدريجياً إلى أن وصل إلى هذا الحد من التغير الذي غير في مفاهيم كثيرة ومبادئ أكثر، فأصبح العصر بهذا الشكل الذي ترينه الآن.
وكانت الساعة قد تعدت الثالثة صباحاً، وقد أدركنا النعاس أنا وساندي فقلت لها: لما لا ننعس الآن ونستكمل حديثنا غداً إن شاء الله.
فردت ساندى وهى تتثاءب: هذا ما كنت أريد أن اقترحه عليكِ يا "حنين".

اليوم الثاني

ورقدنا في نوم عميق بعد تعب يوم طويل مشحون بالأحداث واستيقظت على صوت رنين التليفون، فقد كان مديري بالعمل يسأل لماذا تأخرت عن موعد العمل، عندها نظرت للساعة فوجدتها قد تعدت العاشرة صباحاً، فاعتذرت له وقلت إن عندي ظروف تمنعني من الحضور اليوم، وانتهت المكالمة وكانت ساندي قد استيقظت على رنين التليفون هي الأخرى.

وكنت أحس بسعادة بالغة عندما وجدتها لا تزال موجودة وإن رحلتها إلى زماننا لم تنتهِ بعد.

وخرجنا من الغرفة سويًا إلى غرفة المعيشة، فلم نجد أحداً فقد خرجت أمي للعمل، ولا يزال أخي "معتز" نائماً بغرفته، فقلت لساندي: اذهبي أنتِ للحمام، وأنا سأقوم بعمل نسكافيه، هل أحببته؟ أم ترغبين في شراب شيء آخر؟

ردت ساندي: أليس النسكافيه هذا نوع من أنواع القهوة؟

أجبت: نعم هو كذلك.

ساندي: إذن سأتناوله معكِ.

وأشرت لها بيدي إلى باب الحمام، وتوجهت أنا إلى المطبخ. وما أن دخلت المطبخ بدقائق، حتى سمعت صيحات سندريلا تأتى من الحمام، فهرولت إليها.

فوجدتها أمام المرآة ووجهها قد علاه بعضاً من الشاور جل وطال ملابسها أيضاً، فأخذت أضحك على شكلها أنا و"معتز"، الذي أيقظه صراخها، وكان يضحك عليها ظناً منه أنها إحدى صديقاتي التي يعرفها، ولم يكن يدري بالمفاجأة التي تنتظره، عندما فتحت صنبور المياه، وأغدقت المياه على وجه سندريلا، فإذا به يحدق بها ويقول من هذه يا "حنين"؟

فنظرت له مرتبكةً نوعاً ما وقلت: إنها "ساندي" إحدى صديقاتي عبر الإنترنت من "اسكتلندا" وجاءت في زيارة لمصر.
فزاد تحديقا بها وبي، ثم ساد الصمت ثوان إلى أن غادر "معتز" عائداً إلى غرفته مرة أخرى وهو يهزّ رأسه متعجباً.
ناولت سندريلا المنشفة، وأنا أقول لها: هذا هو أخي الذي حدثتك عنه من قبل.
فقالت سندريلا: نعم أتذكر ذلك ولكنك لم تحدثيني عنه كثيراً ولماذا كان يحدق في هكذا؟
حنين: لقد كان يظن أنه يعرفك، ولكن عندما أزلتِ الشاور جل من على وجهكِ تبين له أنكِ لست من كان يظن، فأحس بالإحراج وانصرف؛ لأنه يعرف كل صديقاتي جيداً حيث يقابلهن هنا كثيراً.

سندريلا: آه الآن فهمت وآسفة على إزعاجكم، فقط كنت أريد أن أرى ما بداخل هذه الأنبوبة.
حنين: لا عليكِ يا سندريلا المهم أن تأخذي حذرك أمام صديقاتي وأمي أيضاً
وتركتها وعدت إلى المطبخ لاستكمال عمل النسكافيه.

ذهبنا بعد ذلك إلى غرفة المعيشة وأدرت التلفاز وأنا أقول لها: أجلسي يا أميرتي ها هنا وأشرت بيدي إلى الأريكة وما إن جلست أمام التلفاز حتى فتحت عيونها محملقة فيه وتقول متسائلة: وما هذا أيضا أنها تشبه تلك الآلة التي بغرفتك حيث تراسلي أصدقائكِ عليها "تقصد شاشة الكمبيوتر"، ولكنه أكبر.
حنين: لا يا سندريلا، إنه التلفاز جهاز استقبال فقط للقنوات المحلية والعالمية حيث يذاع عليه الكثير والكثير من البرامج والمسلسلات والأفلام ونشرات الأخبار أيضاً.
سندريلا: يا له من عالم!
حنين: هاهاها فعلاً.

وأخذت أضحك وأنا أراقب سندريلا تتابع شاشة التلفاز منبهرة.
حنين: هذه هي الحياة العصرية التي أبهرتك يا سندريلا أنا على استعداد أن أبادلك الحياة، أعود لزمنك الجميل وتبقي أنتِ هنا بزمن التكنولوجيا، موافقة؟
راحت ساندي تنظر لي وتفكر كيف سيكون حالها إن قبلت هذا العرض، هل ستكون سعيدة أم لا؟! وقبل أن ترد بالإيجاب أو الرفض سمعنا رنين تليفوني آتً من غرفتي، فنهضت مسرعة كي أرد عليه، وكانت إحدى زميلاتي بالعمل تسأل عن ملف لا تدري أين هو؟
عدت لسندريلا مرة أخرى حيث كنا نجلس بغرفة المعيشة، وهى لا زالتْ تعقد المقارنة بين عصرها وعصر التكنولوجيا.
فقلت لها: لا تفكري كثيراً موالاتي في الإجابة فلا زال أمامك الكثير لتسمعيه، والآن هيا بنا نذهب للكوافير؛ لأن حفلة الباليه ستبدأ في تمام التاسعة مساءً وليس أمامنا الكثير من الوقت لنضيعه في مناقشات.
ساندي: كوافير؟! أليس هذا هو نفس المكان الذي تركنا فيه صديقتك سالي بالأمس؟
حنين: نعم هو.
ساندي: ولماذا نذهب إليه؟
حنين: تعالي معي وستعرفين.
ساندي ترد في منتهى البساطة والسذاجة: هيا بنا وتهم بالوقوف.

وفى الكوافير كان الموقف كوميدياً جداً، وكُنت لا أستطيع التوقف عن الضحك على ساندي، وهى تحاول الإفلات من تحت يد "حمدي" الكوافير، الذي اعتدت أنا وصديقاتي تصفيف شعرنا عنده، وهو يلف شعرها على البكر الخاصبأن يأخذ الشعر الشكل الملتوي المتناسق الخصلات مع بعضها البعض، وبعد مجهود شاق

منه استطاع إنهاء مهمته ثم وضع رأسها تحت "السيشوار"؛ لتجفيف شعرها وهى تصرخ ثم تصيح فيه أن يتركها وشأنها.
ولا زالت حالة الاستغراب تعتري وجه ساندي إلى أن تركنا الكوافير وعدنا إلى المنزل!
وفى المساء توجهنا بالسيارة إلى دار الأوبرا المصرية، وعبرنا الفناء الخارجي، وكانت فريدة وإبراهيم في انتظارنا بالبهو أمام المسرح الكبير، وصعدنا درجات السلم، وأخذنا مقاعدنا بالمسرح وأُغْلقت الأبواب الخلفية وكان في يد كلاً منا كتيباً صغيراً عن باليه سندريلا وأخذت اقرأ فيه في نفس الوقت الذي كانت ساندي تتأمل في المكان من حولها.

ويقول الكتيب أن موسيقى باليه سندريلا لموسيقار روسي يدعى "بروكوفيف" وأنه استطاع من خلال موسيقاه أن يصور باليه سندريلا على أنه أسطورة شعرية لقصة حب بين سندريلا والأمير الشاب، وولادة هذا الحب وازدهاره، ثم الصعوبات التي واجهته إلى حُلم السعادة الذي تحقق أخيراً.
كما استطاع أن يرسم بالموسيقى صورة عذبة وحالمة لشخصية سندريلا وصورة زوجة الأب النكدة والأختين المشاكستين والأمير الشاب الشجاع بطريقة تجعل المستمعين للموسيقى يعيشون أفراحهم وأحزانهم.

وجاء تأليف باليه سندريلا لوجود قصة سندريلا في أساطير كل البلاد ولذا فقد أراد "بروكوفيف" أن يقدمها كواحدة من شخصيات الأساطير الروسية.
ثم خلت القاعة إلا من إضاءة خافتة مسلطة على الباب الذي دخل منه المايسترو لقيادة الفرقة الموسيقية، وهنا صفق له الجمهور تحية له؛ فانحنى المايسترو انحناءة بسيطة رداً على تحية الجمهور، وبدأ عزف الموسيقى ورفع الستار ليبدأ العرض

الفصل الأول

(المنزل)

دخلت سندريلا – أقصد راقصة البالية التي تقوم بأداء دور سندريلا في الرواية-على خشبة المسرح ومن خلفها ديكور المنزل، وأخذت تتراقص هنا وهناك وتدور كفراشة بجسمها النحيل وخطواتها الرشيقة البارعة.
وساندي تحملق في الراقصة متعجبة من إتقانها وبراعتها في الرقص وتناغم الخطوات مع إيقاع الموسيقى، والجمهور يتابع أحداث الرواية بتأثر شديد، فمن المعروف أن رواد الباليه وعاشقيه من محبي الفن الرفيع.

تعيش سندريلا الفتاة اليتيمة مع أبيها وأختيها القبيحتين–غير الشقيقتين-واللتين يختلفان دائماً لأتفه الأسباب، ولكن سندريلا تنفصل عنهم روحاً وجسداً، وتقوم بأعمال المطبخ وتنظيف الأواني والمنزل وتبقى دائماً وحيدة حزينة، ويحاول الأب تخفيف آلامها من وقت لآخر، ولكن الأختان دائماً ما تغضبان لهذا الاهتمام وكانا دائماً ما يذهبان لحضور الحفلات، ويتركونها بالمنزل، وتمنعها زوجة أبيها من حضور هذه الحفلات؛ بحجة أنها لم تنهِ عملها بالمنزل، كما أنه ليس لديها من الملابس ما يتناسب وحضور مثل هذه الحفلات.

الفصل الثاني

(الغابة)

خرجت في يوم من الأيام سندريلا بعد أن غادر الجميع المنزل " لحضور حفل اختيار زوجة الأمير"؛ للتنزه بالغابة.. وبالرغم من الظلام والصمت إلا من صوت بعض الطيور والحيوانات بالغابة إلا إن سندريلا لم تخف؛ لأنها اعتادت على تلك الأصوات، فهي كثيراً ما تأتي وحدها إلى الغابة، بعد أن يغادر الجميع، كما أنها تأتى الغابة في كل نهار؛ لتجمع الحطب لإشعال المدفأة ليلاً، ولذا فهي تحفظ كل خطواتها بالغابة عن ظهر قلب.

وفجأة تظهر لها سيدة عجوز وبصحبتها مجموعة من بنات الحور يلتفون حولها كالملائكة في زي بهي، وفى يدها عصاً سحرية لها بريق أخاذ، تبتسم لسندريلا، وتقترب منها وترى سندريلا في ملامح وجه العجوز بعضاً من ملامح أمها وحنانها؛ فيطمئن قلبها وتذهب عنها رهبة المفاجأة.

ويدور حوار سريع بين سندريلا والساحرة الطيبة تعلم من خلاله الساحرة بمعاناة الفتاة الصغيرة، وتقرر أن تساعدها وتجعل الفرح والسعادة يدخلا قلبها، وبلمستها السحرية العجيبة تتغير هيئة سندريلا من فتاة بملابس بالية إلى فتاة بملابس أميرة، وبلمسة سحرية أخرى تتحول بنات الحور إلى عربة تجرها ستة من الخيول، وتأمر الساحرة بنات الحور أن يعودن في تمام الساعة الثانية عشر مساءاً ومعهم سندريلا، وتشير بعصاها السحرية إلى الخيول، فتجرى مسرعة إلى حفل اختيار عروس الأمير الشاب نجل ملك الإمبراطورية العظيمة التي لا تُعد ولا تحصى خزائنها.

الفصل الثالث

(القصر الملكي)

وتصل الأميرة (سندريلا) الحفل.. فتخطف الأنظار ويتهافت عليها كل من بالحفل من رجال وملوك وأمراء وحتى السيدات الموجودات بالحفل، والكل ينظر للأميرة الحسناء بعين الإعجاب والتساؤل تُرى بنت من هذه الأميرة وأين كانت؟ هل كانت مسافرة إلى بلاد بعيدة؟ ولماذا لم تظهر في أي من الحفلات السابقة؟

وتقع عين الأمير الشاب على سندريلا لأول مرة فلا يستطيع رفع عينيه عنها، ولا أن يرى سواها بالحفل.. سندريلا أيضا ظلت واقفة دون حِراك تنظر للأمير ولا تصدق أنها أمامه، وأنه يبادلها نظرات الإعجاب، وبدأ عزف الموسيقى؛ كي يعلن عن بدء الحفل وهذا ما كان متعارفاً عليه في مثل تلك الحفلات، حيث لا يبدأ الحفل أو الرقص إلا في وجود الأمير أو من يقيم الحفل، ومد الأمير الشاب يده للأميرة الحسناء (سندريلا)؛ طلبا للرقص معها ووجدت سندريلا نفسها بين يدي أميرها يرقصان سوياً، ويتمايلان مع الموسيقى، وهكذا كانت أول نظرة حب جمعت بين الأمير الشاب وسندريلا.

ولكن ها هي الساعة تدق الثانية عشر وعلى سندريلا أن تغادر الحفل وتعود للساحرة كما أمرتها، ولكنها لا تريد أن تترك الأمير وتقع في حيرة.. هل تترك الأمير أم تبقى معه وتخالف أوامر الساحرة، وقبل أن تصل لقرار كانت إحدى الحوريات قد ظهرت أمامها وأمسكت بيدها وتخرج بها مسرعةً إلى خارج القصر وتركب العربة ذات الستة خيول عائدة إلى الغابة، حيث كانت الساحرة بانتظارهم، وعندها تكتشف سندريلا أن فردة حذاءها غير موجودة.

لقد تركت الأمير الشاب الذي عشقها من أول نظرة دون أي كلمة دون أن يعلم من هي وإلى أي أسرة تنتمي، لم تترك ورائها سوى فردة الحذاء الذي وقع منها، وهي تجرى مسرعةً خارج القصر.
وقرر الأمير أن يجدها بأي حال من الأحوال، حتى وإن كلفه الأمر أن يبحث عنها بشوارع المدينة والقرى من حولها، ولكن هذا سيأخذ أيامًا كثيرة؛ فاقترح عليه أحد أصدقائه أن يبحث عن صاحبة الحذاء؛ فبالتأكيد ستكون هي الأميرة المجهولة التي وقع في غرامها، والتي هربت مسرعة، ولا يدرى لماذا هربت أو إلى أين ذهبت؟!

وبالفعل كان هذا هو الحل للوصول إليها، وفى إحدى المنازل "منزل والد سندريلا " دخل الأمير وصديقه وحارسهما ووضع الحارس الحذاء أمام كلا من الأختين المشاكستين " أختا سندريلا " فلم يدخل الحذاء في قدم أي منهما، ووقعت عين الأمير على سندريلا التي كانت تقف بعيداً ترقبه، فوجدهما نفس العينين اللتين يبحث عنهما في كل الأرض، فطلب منها أن تضع قدمها في الحذاء، وكانت المفاجأة للجميع؛ بأن كان الحذاء نفس مقاس قدم سندريلا.
وتأكد الأمير الشاب أنها نفس الفتاة التي كان يراقصها في الحفل وأقيمت الاحتفالات والأفراح تعلن عن موعد زواج الأمير الشاب من سندريلا الفتاة الفقيرة التعسة التي ظلمها الناس حتى أبوها، ولكنها بعد الآن لن تكون مظلومة ستتحول حياتها من فتاة تعسة إلى أميرة متوجة، ثم إلى ملكة بعد عدة سنوات.
وهكذا ينزل الستار على آخر فصول العرض ويصفق الجمهور للراقصين والعازفين في فرحة غامرة بهذه النهاية السعيدة للقصة.
وتضاء الأنوار ويبدأ الجمهور الغفير في مغادرة المسرح، كلٌ إلى حال سبيله، ونبدأ نحن أيضا في الاستعداد للخروج، ولكن ساندي لا تزال جالسة دون أي حركة أو تنبس بكلمة وأمسك يدها ونخرج

جميعاً؛ لأعود مع ساندي للمنزل، بعد أن تركنا فريدة وإبراهيم، حيثما قررا أن يذهبا للعشاء، وقررت أنا وساندي العودة للمنزل.
وعندما وصلنا للمنزل كانت ساندي في قمة الغضب وثائرة جداً على ذلك العرض والكلمات التي وردت بالكتيب ولم أكن أدري السبب وراء غضبها هذا، بل أرى كما يرى كل من شاهد العرض إنها قصة جميلة جداً.
أما ساندي فرأت فيها ظُلماً وقع عليها بأن قال مؤلف الموسيقى أنها قصة خيالية أسطورية، لأنها قصة واقعية عاشت أحداثها، كما أن القصة لم تتناول الحقيقة كاملةً.
ساندي: هذا ظُلم وافتراء، كذب، تزوير في وقائع رسمية.
حنين: ما هي الحقيقة إذن يا ساندي، إذا ما أتضح أن الحقائق أضحت اليوم مشكوك في صحتها؟
سندريلا: أنا لم أكن من عامة الشعب أبداً، وكيف تصدقين يا "حنين" أن أميراً يتزوج من عامة الشعب، وإن قبل هو هل يقبل الملك والملكة؟ بل إن الشعب لن يقبل أن تحكمه يوماً من كانت تخدمه بالأمس القريب أليس كذلك؟

حنين تنظر لسندريلا بانبهار ودهشة، ولا يستوعب عقلها أن تكون هذه هي الحقيقة.
وتستكمل سندريلا روايتها قائلةً: أنا أميرة من أميرات العائلة المالكة للعرش في بلادي، ولكن مرت بي وبأسرتي ظروف عصيبة صورت للبعض أنني فتاة عادية من أسرة متواضعة.
حنين: ظروف عصيبة؟! وما هي تلك الظروف يا أميرتي؟
سندريلا: إنها قصة طويلة يا حنين ولكن ليست كقصص الحب والغرام التي قصصتها لي عنكِ وعن صديقاتكِ.
حنين: ماذا تعنين بذلك يا سندريلا؟
سندريلا: تبدأ القصة حيث كُنت طفلة لا يتعدى عمري السابعة، أتمتع بجمال لم تحظ به الكثيرات داخل القصر الملكي من أميرات

أخريات، وكانا والداي يخافان على من حقد الحاقدين وحسد الحاسدين.
وفى يوم من الأيام قرر أبي أن يرسلني خارج البلاد ويودعني بأحد المدارس الداخلية حتى يبعد الأنظار عني، وفى نفس الوقت أتعلم واعود؛ لأكون ملكة يوماً ما، لقد كان يؤمن أبي أنني في يوم من الأيام سأكون ملكة، وها هي نبوءة أبي قد تحققت.
حنين: أنا لا أصدق ما أسمعه!
سندريلا: انتظري كي تعرفي ماذا حدث بعد ذلك.
حنين: وماذا حدث؟
سندريلا: أحياناً تكون الحقيقة أغرب من الخيال يا حنين.
حنين وفى عينها فضول وشغف: فعلاً. اكملي..

سندريلا: بالفعل أرسلني أبي إلى المدرسة الوحيدة التي تقبل الفتيات لإعدادهن الإعداد المناسب لتكونّ أميرات في المستقبل، وكانت إجراءات التحاقي بتلك المدرسة غاية في السرية والكتمان، حيث كان أبي حريصاً على ألا يعلم أحد بمكان دراستي.
حنين: ولماذا كل هذه الإجراءات الأمنية؟
سندريلا: وقتها لم أكن أعلم السبب، فقد كان أبي يقول لي أنه يخاف على من الحسد والحقد الذي دائماً ما يراه في عيون الناس من حولي، ولكن هذا لم يكن السبب الوحيد وراء خوف أبى.
حنين: وما هي الأسباب إذن؟
حنين: إنها الحرب.
حنين: ماذا؟ الحرب؟ وما دخل الحرب بدراستك أو بحسد الحاسدين؟!
سندريلا: حرب أهلية شبت بين العائلة المالكة وعائلة أخرى من أكبر العائلات بالمملكة، كانت تدبر للاستيلاء على عرش البلاد اعتقاداً منها أنها أحق بتولي العرش. وراح العديد من أشجع

الرجال ضحية لتلك الحرب التي استمرت خمسة عشر عاماً إلى أن استطاعت العائلة المالكة تثبيت أقدامها على عرش البلاد.
حنين: خمسة عشر عاماً، أنها فعلاً فترة طويلة ولكن الحمد لله أن استطاعت عائلتك الحفاظ على العرش رغم ضراوة الحرب.
سندريلا: ولكن أصيب أبي بطعنة غادرة في تلك الحرب أودت بحياته في الحال وبعده توفيت أمي حزناً عليه.
حنين: لا حول ولا قوة إلا بالله. يا لها من نهاية بشعة، وماذا حدث لكِ يا سندريلا؟

سندريلا: كُنت أنا في تلك الأثناء بالمدرسة ببلاد بعيدة لا يعرف مكاني أحد سوى أبي وخادمه الأمين، وقد راح الاثنان شهداء الحرب الأهلية في بلادي. فبعد أن كُنت أعيش عيشة الأميرات بالمدرسة أتلقى فنون الاتيكيت والموسيقى وأرقى الفنون التي يجب على كل أميرة إتقانها، تحولت إلى خادمة بتلك المدرسة نظير بقائي للدراسة.
حنين: ماذا؟ خادمة؟! كيف حدث ذلك ولماذا؟!
سندريلا: بعد أن توفى أبي وأمي وخادمه أيضاً، وقلت لكي منذ البداية أن أبي قد أرسلني إلى تلك المدرسة في سرية تامة، لم تصل إلي أي أموال لتغطية مصاريف المدرسة، ولم يكن أمام صاحبة المدرسة من سبيل إلا أن تطردني من المدرسة، أو أن أعمل كخادمة بالمدرسة نظير المأوى والتعليم.
حنين: يا إلهي، وكيف استطعتِ أن تتحملي تحول حياتك من أميرة إلى خادمة؟ أنه تحول من النقيض إلى النقيض، أنها معاناة حقيقية.
سندريلا: وأي معاناة تلك، كُنت وقتها لا أعلم لماذا توقف أبي عن إرسال الأموال وفي نفس الوقت لا أملك النقود الكافية للعودة لبلادي، فلم يكن هناك مفر من الاستسلام لأوامر صاحبة المدرسة.
حنين: وكيف كانت تعاملك صاحبة المدرسة؟

سندريلا: لقد كانت سيدة فاضلة والحق يقال، كانت حانية عليّ، ترثى لحالي .. حاولت مساعدتي قدر استطاعتها إلى أن انتهت سنوات الدراسة، وتخرجت بأعلى الدرجات، حيث كنت متفوقة على كل الأميرات رغم الظروف.

حنين: وكيف عدتِ لبلادك؟

سندريلا: نظراً لتفوقي الدراسي، فقد تم اختاري من قِبل صاحبة المدرسة وباستشارة أغلب المعلمين بالمدرسة؛ كي أقوم بالعمل كمساعدة للمعلمين بنفس المدرسة.

حنين: عظيم جداً.

سندريلا: الحمد لله على كل شيء، عملت بالمدرسة لمدة عامين إلى أن جمعت الأموال اللازمة للعودة لبلادي.

وبالفعل عدت لبلادي، وكنت قد بلغت العشرين من عمري لأجد أبى وأمي قد توفيا، وعلمت بما حدث طوال فترة غيابي عن البلاد، وحزنت ساعتها حزناً شديداً على موت والدىّ، ثم لشعوري بالوحدة والغربة حتى بعد عودتي لدياري.

حنين: وكيف التقيت بالأمير وتزوجتِ منه؟

سندريلا: لقد أصابني الاكتئاب بعد وصولي للبلاد لشعوري بغربة ووحشة، فانغلقت على نفسي وقفلت بأبي أمام الزوار من العائلة المالكة لشهور طويلة، حتى أصابني الإعياء، وكان رأى الطبيب أن أغير المكان الذي أعيش فيه وانتقل لمكان آخر حتى أتعافى. جمعت أغراضي وخدمي، وذهبت للاستجمام بقصر الأحلام على أطراف المدينة.

حنين: حيث التقيت بالأمير، أليس كذلك؟

سندريلا: نعم أيها الماكرة هاهاهاها.

حنين: أحكي لي بالتفصيل كيف كان اللقاء.

سندريلا: لقد كان قصر الأحلام بعيداً وشبه مهجور لذلك اختارت أن أقضى فيه فترة النقاهة، ونظراً لأني قضيت معظم سنوات حياتي

خارج البلاد فليس لي أصدقاء أو أحباء؛ فلم يهتم أحد بمعرفة مكاني أو التفكير في زيارتي.

ومرت الأيام والشهور إلى أن صحوت ذات يوم على أصوات عالية وضوضاء بالقصر لم أعتدها، وعلمت من وصيفتي أن الأمير قد وصل لتوه للقصر، كما علمت أيضا إنه أتى لترتيب حفل اختيار زوجة له من بين أميرات المملكة؛ لتكون الملكة بعد عمر طويل لوالديه، ولم يكن يدري بوجودي بالقصر.
قضى كل منا عدة أيام بالقصر دون أن يرى أيًّا منا الآخر، فقد كان يخرج للصيد كل صباح مع صديقه، وأكون أثناء ذلك قد خرجت للتنزه بحديقة القصر، ثم أستحم بالنهر، وأعود مرة أخرى لغرفتي قبل أن يعود.

وفى أحد الأيام، كنت جالسة أقرأ بعضاً من كُتب الشعر، فجاءتني وصيفتي منزعجة؛ لتقول لي أن الأمير عاد مصاباً في ذراعه اليمنى بجرح طفيف أثناء رحلة الصيد.
وذهبت على الفور لزيارته والاطمئنان عليه، عبرت بين الممرات الطويلة والأبواب الضخمة إلى أن وصلت لغرفة الأمير، حيث كان الحراس بالباب، فأمرتهم بفتح الأبواب؛ كي أزور الأمير ودخلت إلى غرفته حيث كان يرقد بالفراش ممسكاً بذراعه المصابة ويتألم، وبجواره صديقه الملازم له، وكذلك حارسه الأمين يكاد يبكى حزناً على مولاه.
عندها استحضرت من ذاكرتي أحد دروس الطب التي كنت أتلقاها بالمدرسة، حيث كانوا يدرسون الطب للأميرات، حتى تكون الأميرات على دراية بأوليات الإسعاف، إذا ما قامت حرب؛ فيتطوعن لمساعدة الجرحى والمصابين، وطلبت من وصيفتي أن تذهب إلى جناحي وتحضر بعض الأدوات، لتطهير الجرح ولم يكن

الجرح غائراً، ولكنه مؤلم وبعد أن طهرت الجرح تركنا الأمير وإلى جانبه حارسه وخرجنا جميعاً من غرفته؛ لينال قسطاً من الراحة.
استوقفني صديق الأمير ليسألني عن هويتي، فقلت له إنني إحدى أميرات العائلة، كنت أعيش بالخارج وعدت منذ فترة وجيزة لأجد كل شئ غريبا عني، فقررت العيش بذلك القصر البعيد.
تركته وعدت لجناحي، وكنت أذهب لجناح الأمير كل صباح لأطمئن عليه وعلى الجرح وأساعده في تناول الطعام ودارت بيننا بعض الحوارات في شتى الموضوعات.
وبدأ يتعافى الأمير في نفس الوقت الذي بدأ فيه القلب يدق لأول مرة، لأول مرة أحس فيها بتغير في حياتي، أرى الدنيا والناس والزمان والمكان بشكل مختلف، مرت عدة أيام أخرى وكأنها ساعات قليلة إلى أن جاء يوم الحفل الكبير حفل اختيار زوجة الأمير.
جلست أفكر، تُرى من سيختارها الأمير؟ لما لا تكون أنا؟ ولكنه لا يعرفني إلا من أيام، وقررت أن أحضر الحفل بأبهى زي لدي، وأن أخرج إلى العالم مرة أخرى، وأن أقابل الناس لا أن أهرب منهم، لقد أعطاني الأمير ثقة كبيرة بنفسي في أيام قليلة.
سمعت الموسيقى تعزف وتعلن عن حضور الأمير ومر وقت طويل وأنا أمام مرآتي أفكر في التراجع عن قرار الظهور في الحفل مرة، ثم أعود وأقرر الذهاب مرة أخرى إلى أن جاءني حارس الأمير يطلب مني حضور الحفل، حيث ينتظرني الأمير، فما كان مني إلا أن أذهب مع الحارس.
نزلت درجات سُلم القصر المؤدي للبهو، وقد توقفت الموسيقى والتفتت كل أنظار الحاضرين لأعلى ترقب خطواتي، فتملكني الخجل والارتباك، وكانت يداي ترتعشان وأنا ممسكة بيد الحارس وسمعت منادي القصر يعلن عن حضوري للحفل وهذا ما كان متعارف عليه.
وبدأ الهمس والغمز عندما وصلت لأخر درجات السلم، مد الأمير يده ليقدم التحية ويقبل يدي، ثم طلبني للرقص، وكانت تلك أول مرة

يلمس فيها الأمير يدي ويراقصني، ولم يتقدم أي من المدعوين والمدعوات للرقص، فقد اكتفى الجمع الغفير بالحملقة فيّ وفى الأمير مما زاد إحساسي بالخجل؛ فنظرت لعين الأمير وكنا متقاربين جداً.
أحسست أن بعينه شيئاً جميلاً، وكأن ما في قلبه من حب ينبعث من عينيه، وعندها نسيت الجمع الغفير وكان تراقصنا متناغماً مع الموسيقى، خطواتنا تعرف طريقها، ولم أشعر بوجود الناس إلا عندما سمعت تصفيقهم تحية لنا على الرقصة عند توقف الموسيقى عن العزف.
قررت ساعتها الفرار مرة أخرى، ولكن يد الأمير جذبتني إليه وهو يقول بصوت عال: لقد قررت الزواج من الأميرة سندريلا فلتقام الأفراح ويبلغ الرسل الخبر للملك في التو والحال.
وصفق الحاضرون مرة أخرى تعبيراً عن فرحهم بقرار الأمير، ولكن لم يكن الجميع فرحين بذلك القرار، وهذا ما أتضح بعد أن انتهى الحفل وعدت مع الأمير للقصر الملكي، وعلمت من وصيفتي أن الوزير وبعضاً من أفراد الحاشية غير راضين عن ذلك الزواج، ويشككون في صحة نسبي للعائلة المالكة، وذلك لعدم إتمام تلك الزيجة ووضع العراقيل أمامها.

وأشُيع بالمملكة أنني لست سندريلا الحقيقية، وما أنا إلا محتالة وإن سندريلا ماتت أثناء الحرب الأهلية، وكانت تلك الإشاعات بمثابة صدمة هزتني وكأني مت اليوم فعلاً.
ولكن في الوقت نفسه كان عليّ أن أثُبت صحة نسبي؛ لأجهض محاولتهم لهدم سعادتي التي وجدتها بعد سنوات طويلة من العذاب فأرسلت لبعض زميلاتي ومديرة المدرسة واحد المعلمين للحضور لبلادي؛ لأستشهد بهم في صحة نسبي بعد أن مات كل من كان يعرفني بالمملكة أثناء الحرب.

ويأتي يوم المحُاكمة بين يدي كبير القضاة بالمملكة وملك البلاد في حضور جموع من الناس داخل القصر الملكي وخارجه، وتبدأ المحاكمة، وفي المقدمة مديرة المدرسة للشهادة وقد أصبحت سيدة عجوز وتقص على الحاضرين حكايتي عندما ذهب أبي أول مرة إليها لإلحاقي بالمدرسة، وتُخرج من جعبتها بعض الأوراق القديمة التي أكِل عليها الدهر وشرب وتركها مصفرة مهلهلة وتتقدم مديرة المدرسة للملك؛ لتطلعه على بعض الأوراق وعليها ختم والدي الملكي، ومكتوب بخط يده خطاب موجه لإدارة المدرسة عبارة عن طلب إلحاقي بالمدرسة والجميع يتابع بنظره خطواتها، وكأنها ساحرة تقدم عرضاً مبهراً للحضور.
وعندما يرى الملك الختم والمخطوط يحس بصدق روايتي، وتتراجع المديرة للخلف، ويتقدم كبير مدرسي المدرسة ليصف للملك والدي كما رآه في المرات المعدودة التي جاء لزيارتي قبل قيام الحرب، وهنا يتأكد الملك والجميع من صحة نسبي وينطق كبير القضاة بقرار صحة نسبي للعائلة المالكة ويبارك الملك زواجي من الأمير وتقام الأفراح من جديد بالقصر وأبدأ في ترتيبات الزواج. ويعلن الملك عن ميعاد زواج الأمير من سندريلا رغم أنف الحاقدين والحاسدين الذين ظللت أُعاني منهم طوال حياتي.
وهكذا تزوجت من الأمير وكان يوم العرس يوماً مشهوداً، احتفال كبير لم ولن تماثله أي مراسم احتفال في المملكة من قبل أو بعد، عرس مهيب وكأنه يوم من ألف ليلة وليلة.
حنين: إن الحقيقة أغرب من الخيال فعلاً يا أميرتي، عندك حق في أن تغضبي وتثوري على عرض الباليه، ولكن هذا هو زماننا يا سندريلا يقلب الحقائق إلى أكاذيب في حين تصبح الأكاذيب هي الحقائق الثابتة.
سندريلا: لصالح من تُقلب موازين المجتمع في زمانكم يا حنين؟
حنين: لمن يدفع أكثر ولمن له القوة والسلطة.
سندريلا: وأين مبادئ وأخلاق هؤلاء؟!

حنين: إنها مسميات عتيقة لا تستخدم في يومنا هذا، تركناها كما تركنا أشياء أخرى كثيرة وتخلينا عنها فتخلت عنا هي بالتبعية.
وقبل أن أستكمل حديثي دقت أمي الباب، أعرف دقتها، وتدخل فعلاً وتتقدم نحو ساندي وتلقى عليها السلام والتحية وتقول:
آهلا وسهلاً ساندي، إن شاء الله تكوني مبسوطة في مصر.
ساندي: آهلا وسهلاً سيدتي، طبعاً أنني سعيدة جداً بزيارتي لبلادكم الجميلة.
ثم تنظر لي أمي وتقول: هل تناولتا العشاء أم لا يا حنين؟
حنين: لا يا أمي، إنني جائعة جداً، فنظرت إلى ساندي وقلت وأنت طبعاً جائعة.
ساندي: فعلاً، هل سنذهب للمطعم؟!
وضحكت لسذاجة ساندي التي اعتقدت أننا لا نتناول الطعام إلا في المطاعم وقالت لها: لا يا ساندي إننا لا نستطيع النزول للمطعم الآن فالوقت متأخر، سوف نتناول العشاء في البيت.
أمي: هيا تعالى معي يا حنين لتساعديني.
حنين: هيا بنا، وأنت يا ساندي استريحي هنا حتى ننتهي من إعداد العشاء، تمام؟
ساندى: لا لا إنني أود الذهاب معكم.
وبعد إلحاح شديد مني اقتنعت ساندي بالانتظار في غرفة المعيشة تشاهد التليفزيون الذي عشقته من النظرة الأولى.
واجتمع كل من بالمنزل على مائدة الطعام، أنا، وأمي، وأخي، وضيفتنا ساندي. وبعد انتهاء العشاء، ذهب كل منا إلى غرفته للنوم في ساعة متأخرة من الليل.
وهكذا مر اليوم الثاني على وجود سندريلا معي وكان كل يوم يمر أظن أنها ستختفي في الصباح..

الــــفـــصـــــل الــثــانـــي

وأطل نهار يوم جديد وها هي سندريلا لا زالت نائمة إلى جواري وأحس أنى بحلم سأستيقظ منه في أي لحظة.
استيقظت مبكرة وكانت سندريلا لا تزال نائمة فتركتها، وذهبت للعمل؛ لأطلب إجازه حتى تنتهي رحلة سندريلا إلي، وبصعوبة جداً استطعت إقناع مديري أن يوافق على إجازة لمدة أسبوع، وقمت بإنهاء بعض الأعمال وفى طريق العودة للمنزل دق جرس الموبيل وكان صديق حميم لي منذ الصغر أعرفه عن طريق النادي حيث كنا نمارس رياضة الخيل والتنس سوياً، وكنت قد مللت الحكي بالفصحى بعض الشيء مع ساندي، شعرت إنني في فيلم أسطوري قديم، فقررت ان أعود للعامية في حواراتي من جديد.

حنين: الــووو

يوسف: أزيك يا وحشة؟

حنين: يوسف! مش معقول وحشني جداً فينك؟

حنين: في الدنيا الواسعة، لو كنتِ بتسألي كنتِ عرفتى أنا فين!

حنين: يعنى أنت اللي بتسأل أوى؟!

يوسف: المهم عايز أشوفك ضروري النهاردة

حنين: أنت فين دلوقتي؟

يوسف: أنا في مكتبي. وأنتِ؟

حنين: أنا في الطريق، راجعة البيت

يوسف: طب ما تفوتي علي في المكتب؟

حنين: اوكى، بس مش هاقعود كتير

يوسف: اوكى بس تعالي

حنين: باي مؤقتاً

يوسف: سلام

وغيرت اتجاهي إلى مكتب يوسف وأنا أفكر تُرى لماذا يريدني؟ واسترجعت شريط من الذكريات تربطني بـ"يوسف" منذ الصغر إلى يومنا هذا.
وركنت سيارتي أسفل العمارة التي بها مكتب يوسف، وخرجت مسرعة من سيارتي -حتى لا أتأخر على سندريلا-إلى مدخل العمارة، ثم المصعد وتوقفت بالدور السادس ودخلت المكتب، ألقيت التحية على السكرتيرة وبعض الأشخاص أعرف وجوههم يعملون لدى يوسف منذ أن أنشاء مكتبه منذ خمس سنوات تقريباً، وطلبت من السكرتيرة الحسناء أن تُبلغ يوسف أنني وصلت، ودخلتْ مكتبه، ثم خرجتْ سريعاً، وأشارت لي بالدخول في حين كان يوسف ينتظرني واقفاً خلف مكتبه يستقبلني في ترحاب، وكأنه لم يرني منذ زمن بعيد.
وبعد السلام والتحية والعتاب دار الحوار بيننا:
يوسف: أنا عندي لكِ مفاجأة يا حنين
حنين: ربنا يستر
يوسف: ليه كده يا جبانة

حنين: الحقيقة مفاجأتك كلها بتفرقع في وشي، هاهاها
يوسف: احترمي نفسك إحنا في المكتب
حنين: اوكى اوكى، هات اللي عندك
يوسف: اتفضلي
وسحب ظرفا من أحد أدراج مكتبه وقدمه لي فأمسكت به وأخذت أقلبه قبل أن أفتحه، فأتضح أنها دعوة حفل زفاف وفتحت الظروف وكان كما توقعت إنها دعوة لحضور حفل زفاف ولكن المفاجأة التي لم أتوقعها أنها تخص يوسف!
حنين: إيه ده يا مجنون! جواز تانى أنت لسة مافوقتش من الجوازة الأولى رايح تتجوز تانى؟!
يوسف: بس شوفى العروسة مين

حنين: تنظر مرة أخرى للدعوة وتقرأ بصوت مسموع: عقد قران "يوسف عبد الله" على الآنسة "ياسمين شاكر" ثم تتوقف عن القراءة وتقول:
معقول "ياسمين"؟ أنت هتتجوز ياسمين؟! أنا مش مصدقة!
يوسف: الدنيا صغيرة جداً يا حنين، ياسمين هي الانسانة الوحيدة اللي وقفت جانبي وساعدتني وبمنعى أصح هي اللي شالتني في أزمتي بعد الطلاق وأنتِ عارفة حالتي النفسية كان شكلها إيه.
حنين: يعنى أنت بتردلها الجميل بالزواج منها؟!
يوسف: لا طبعاً، أنتِ عارفة أننا كنا مخطوبين قبل جوازي من "شرين" كما أن الإنسان لا يظهر على حقيقته إلا وقت الأزمات، وياسمين عملت حاجات كتير قوى علشان بتحبني بغض النظر عن أي حاجة تانية.

حنين: على العموم ألف ألف مبروك، أنا مقدرش أقول غير ربنا يوفقكم للخير، وأنا مش معترضة على ياسمين، لكن مستغربة لأنها كانت في أيدك؟ قبل ما تتجوز وأنت اللي سبتها بمحض ارادتك علشان تتجوز "شرين"، صح؟
يوسف: كانت غلطة كبيرة دفعت ثمنها غالي، والحمد لله أن ياسمين سامحتني.
حنين: بصراحة ياسمين خسارة فيك وأنا لو كنت مكانها مكنتش اسامحك أبداً.
يوسف: يا بنتِ الحب بيصنع المعجزات.

حنين: لا وأنت الصادق الحب ساحر يسحرك ويأخذك لعالم تاني تحلق فيه فوق السحاب، وتصل معه إلى عنان السماء وهناك أمامك أحد طريقين أما أن تظل مُحلقاً بالسماء تحملك النسمات من سماء إلى أخرى وكأنك ريشة في الهواء، وإما أن تهبط بك من السماء إلى الأرض مرة واحدة ترتطم بالأرض فتصعق من قوة الصدمة.

يوسف: أنا الآن محلق في السماوات السبع وأريد أن أظل مُحلقاً هكذا.
حنين: تضحك على تعبيرات وجه يوسف الغارق في الحب والرومانسية وتقول: يا رب تفضل محلق كده متعرفش تنزل.
يضحك هو الأخر ويرد: ليه كده يا بنت الحلال؟
فجأة أتذكر سندريلا فأقف استعداداً للانصراف وأقول: مرة تانية ألف ألف مبروك يا "جو" ويا رب تكون دي أخر جوازة وربنا يهدى سركم.

يوسف: ربنا يخليكِ لي يا حنين وأشوفكِ عروسة إن شاء الله.
حنين: باي باي.
يوسف: سلام يا روحي، هستانكى.
حنين: حاضر.. حاضر والله جاية.
وتنصرف حنين مسرعةً تحمل في يدها دعوة حفل الزفاف وتقود سيارتها، تفكر فيما قد يكون حدث لسندريلا.
وتصل حنين بسياراتها أمام بوابة العمارة كما اعتادت وهى تنظر هنا وهناك بعينها بحثاً عن عم عويس؛ ليلتقط منها مفاتيح السيارة كما تعودت، ولكن ما شاهدته جذب انتباهها أكثر من البحث عن عويس..

رأت ساندي تقف حائرة أمام أبواب البرج، وشابان من سكان المنطقة يحاولان التحدث معها، فتركت السيارة في مكانها وهرعت إلى ساندي لتعرف ماذا يحدث؟!
حنين: ساندي ماذا يحدث؟ هل أنتِ بخير؟
ساندى: الحمد لله إنكِ وصلت الآن يا حنين، لقد مللت الانتظار و...
وأكملت قائلة تنظر للشابين اللذين كانا يحاولان التحدث معها.
وأكملت قائلة: ولكن عندما خرجت استوقفني هذان الشابان عديمان الذوق، يستخفان بي، ويتحدثان عن أشياء لا افهمها.

حنين تنظر للشابين بعين ازدراء لمعاكستهما صديقتها وتقول: ماذا تريدان؟! ألم يعد هناك أي نوع من الذوق أو احترام حقوق الجيرة؟!
ثم التفت إلى مسؤول آمن البرج لتستدعيه، ليكون شاهدا على الشبان.. وهي تهتف:
يا خالد.. أنت يا بيه ياللى نايم على ودانك وسايب الدنيا تولع، أنت مالكش لزمة في المكان ده!
فهب خالد مسرعاً، وعلى وجهه علامات البلاهة ويقول:
ايه اللي حصل بس يا أستاذة حنين؟!
حنين: أنت مش شايف الأساتذة دول وهم بيعاكسوا صحبتى؟! ولا عامل عبيط؟
خالد: هي الآنسة دى تبقى تبعك؟ والله ما كنت اعرف، سامحيني يا ست الكل، ماكنتش اعرف.
حنين: علشان تعرف إن مالكش لازمة هنا، مانتش عارف مين جاى ليه ومع مين؟
ثم يحاول أحد الشبان إنهاء الموقف بعد أن لفت الأنظار صوت حنين العالى المارة ويقول: إحنا آسفين جداً يا آنسة حنين كنا فاكرينها غريبة عن المنطقة.
وبعد تجمع بعض المارة وبعض السكان رأت حنين أن من صالحها أن تنهي الموقف بسرعة.. فقالت: أنا لو مكنتش مستعجلة كنت فرجت عليكم الناس..
ونادت بصوت عال: يا عويس أنت يا عويس خذ مفاتيح العربية؟
ومد عويس يده يأخذ مفاتيح السيارة، فقد كان واقفاً بين الناس يشاهد ما يحدث، وقالت له قبل الوصول للمصعد: ابعتلى المفاتيح فوق بسرعة.

وأثناء صعود المصعد قالت حنين لساندي: لماذا تركتِ الشقة؟ وإلى أين كنتِ ستذهبين؟!
ردت ساندي في منتهى البراءة: كنت ذاهبة لذلك الكوافير الذي ذهبنا له من قبل ليمشط لي شعري.
وهنا انتابتني حالة من الدهشة، ثم الضحك المتواصل وأنا أفتح باب المصعد ثم الشقة، وساد الصمت.. أفكر في الاحتمالات المتوقعة إذا لم يستوقف هذان الشابان ساندي على أبواب البرج؟ وكيف أنني أخطأت عندما تركتها وحدها بالمنزل وخرجت.
ثم وجهت حديثي لساندى: ولماذا لم تطلبي من معتز أن يأخذك للكوافير؟

ساندي: أنني استيقظت ولم أجد أحداً بالمنزل، حاولت تشغيل هذا التـ...
وتلعثمت في النطق " وهى تشير إلى التليفزيون" ولكني لم افُلح، انتظرت ومللت فقررت الذهاب للكوافير.
حنين: أرجوكِ يا ساندي ألا تخرجي مرة أخرى من المنزل وحدك لأنكِ لن تستطيعي العودة إلى هنا مرة أخرى، فالقاهرة مدينة كبيرة شوارعها متشابهة إلى حد كبير حتى أن أهلها يتيهون فيها.
ساندي: حاضر
حنين: هل تناولتِ إفطارك؟
ساندى: الحقيقة لقد خفت أن أقترب من أي آلة من تلك الموجودة بمطبخكم، فأكلت بعض من تلك الثمار الموجودة بحجرة الطعام (وتشير بيدها إلى حجرة السفرة).
حنين: هل ترغبين في تناول القهوة معي؟
ساندى: أكيد.
حنين: إذن فانتظري هنا، إلى أن أعد القهوة.
وأدارت جهاز التليفزيون وهى تقوم من مكانها من خلال الريموت.
ساندي: موافقة.

وتتجه حنين إلى المطبخ لتعد فنجانين قهوة تركي، ثم عادت إلى حجرة المعيشة حيث تركت ساندي تشاهد التلفاز.
وفى المطبخ حنين تقوم بإعداد طبقين من الجبن والبيض وكوبان من النسكافيه، ثم تعود لحجرة المعيشة، وتجلس بجوار ساندي تتناولان الإفطار، وتشاهدان إحدى قنوات المنوعات.
وبعد تناول الإفطار اقترحت حنين على سندريلا أن تمشط لها شعرها بدلاً من الذهاب للكوافير، وبعد أن غسلت سندريلا شعرها، دخلا معاً غرفة حنين، وأجلستها حنين أمام التسريحة، وبدأت في تمشيط شعر سندريلا، وهى لا تكاد تصدق نفسها فرحاً، وتود لو تستطيع أن تخبر العالم بأسره بأن الأميرة سندريلا معها، وتمشط لها شعرها أيضا.
وشردت حنين بفكرها في حلم يقظة وجميع وكالات الأنباء والجرائد تتهافت على منزلها لرؤية سندريلا الأسطورة وعمل أحاديث معها، ويتحدث العالم كله عن حنين، ثم استيقظت من ذلك الحلم على صوت سندريلا التي اعتادت العامية من التلفزيون فتقلده وهي تقول:
هاى حنين أنتِ سرحتي في أيه؟
حنين: أنا لا أبداً ولا حاجة.
سندريلا: يا بنت ما تكذبيش علي، أنا بكلمك وأنتِ مش سامعة حاجة ومش معايا، اعترفي كنت سارحانة في مين؟
لم تكن حنين تستطيع أن تخبر سندريلا بذلك الحلم فمن الممكن أن تغضب لمجرد التفكير في حدوث ذلك فقالت حنين: اليوم قابلت أعز أصدقائي وأعطاني دعوة لحفل زواجه.
سندريلا: هل كان مجرد صديق أم أكثر من ذلك؟
حنين: أنه صديق منذ الطفولة يا أميرتي وله حكاية غريبة، منذ سنوات تعرف على فتاة و...
أخذت حنين تحكى لسندريلا قصة يوسف وعلامات الدهشة لا تفارق وجهه سندريلا، وبعد أن انتهت حنين من سرد القصة كانت

علامات الدهشة على وجه سندريلا بجانب علامات استفهام عن تلك التصرفات البشرية ؟!
وهي تقول: يا للفتى المسكين! كنت دائماً أعتقد أن الرجال هم المخادعين الكاذبين ولكن هذه أول مرة أجد العكس، فتى تخدعه فتاة ويظل مخدوعاً حتى يوم الزفاف، أنه لأمر عجيب فعلاً.
حنين: لقد كان ذلك درساً وعقاباً من الله لن ينساه طوال حياته يا سندريلا. فقد كان يوسف يتلاعب بالفتيات ويغرر بهن باسم الحب ويخدعهن على اعتبار أنه سيتزوجهن، ثم يتركهن سريعاً يعانين الألم والعذاب والندم.

سندريلا: إنكِ تتكلمين بصيغة الجمع، هل فعل ذلك مع أكثر من واحدة؟
حنين: طبعاً يوسف غرر بأكثر من عشر بنات قبل أن يقرر الزواج من شرين.
سندريلا: يا الله عشر بنات، أنه يستحق أكثر مما فعلته به تلك الشرين اللعوب.

حنين: لقد قال لي عندما زرته أنه كان يتمنى لو أن يظل مخدوعاً بدلاً من اكتشافه لخداعها.
سندريلا: كانت صدمة قوية بالنسبة له لم يكن يتخيل أن يحدث له ذلك في يوم من الأيام، أليس كذلك؟
حنين: فعلاً.. لقد كان درساً قاسياً عليه من صنف أفعاله.
سندريلا: ولكن أنتِ تقولين إنه سيتزوج مرة أخرى!
حنين: نعم سيتزوج من ياسمين وهى أخر بنت خطبها قبل أن يتزوج من شرين، كانت ياسمين تعبده، ولكنه لم يستطع الوصول لغرضه منها؛ فتركها لأنها عنيدة جداً، وسرعان ما تزوج من شرين، حتى إنني لم أعرف إلا يوم زواجه منها.

سندريلا: إن مرآة الحب عمياء فعلاً كما يقولون، لم أكن لأقبل الزواج ممن تركني لأجل امرأة أخرى، وبعد الفشل معها يعود لي مرة أخرى باكياً نادماً.
حنين: هذا ما قلته له بالضبط.
سندريلا: يا ليتني أرى هذا الرجل.
حنين: إن شاء الله سترينه يوم عرسه الخميس القادم إذا ما كنت ها هنا، والآن أنهضي لقد انتهيت من تصفيف شعرك يا أميرتي.
سندريلا: أشكرك جداً يا جميلتي.
وهنا دق جرس التليفون فخرجت حنين إلى غرفة المعيشة حيث التليفون وأمسكت بالسماعة وقالت: الووو؟
وكانت صديقتها مريم هي التي تتصل وقالت: أنتِ فين يا بت؟ طلبتك في الشغل زميلتك قالت إنك آخذتي إجازة أسبوع!

حنين: فعلاً علشان صديقتي ساندي ما أنتِ عارفة.
مريم: طيب يا أختي.
حنين: مالك يا بت في ايه؟
مريم: أقولك حاجة بس ماتقوليش لحد؟!
حنين: قولي..
مريم: أنا كنت مع منير امبارح.
حنين: أنا عارفة.. أنتِ مافيش فايدة فيكِ أبداً وبعدين ايه اللي حصل؟
مريم: بلاش تعكنني عليا يا حنين أنا مبسوطة أوى.
حنين: مبسوطة أوى! قابلتيه فين؟ في الشقة صح؟
مريم: آه.
وتقولها وهى هائمة في بحر الحب.
حنين: إحنا مش كنا اتفقنا أنكِ ماتروحيش الشقة دى تانى مهما حصل.

مريم: لم أستطع المقاومة يا حنين، كان واحشنى جداً جداً.. إحنا رحنا الأول السنيما وماكنش في دماغي الشقة خالص.
حنين: على فكرة منير بيستغل حبك له.
مريم: أرجوك يا حنين، أنا في حلم جميل مش عايزة اصحى منه.
حنين: وبعد السنيما عملتوا إيه؟ ومين اللي اقترح الذهاب للشقة؟
مريم: بعد السنيما، ذهبنا لتناول الغداء بمطعم صيني على كورنيش النيل.
حنين: وبعدين؟
مريم: بعد كده ركبنا عربية وأخذنا طريق العودة وقبل ما نقترب من منزلي حسيت أني لا أود أن أتركه الآن ووجدته يقول لي "أنت عايزة تروحى دلوقتى؟ " فقلت له لأ، وأمسك بيدي واقترب مني ثم قبلني ثم..

وقبل أن تستكمل مريم قالت لها حنين: ثم لم تستطيعي أن تقاوميه عندما اقترح الذهاب للشقة.. مش كده؟
مريم: أرجوكِ يا حنين بلاش عتاب، كفاية تأنيب، هو حرام أكون سعيدة يوم؟!
حنين: مريم أنتِ عارفة أنا بحبك أد إيه وبخاف عليكِ.
مريم: عارفة، علشان كده أنتِ أول واحدة احكي لها اللي حصل.
حنين: انتوا عشتوا حياتكم على كده؟ ورواحتي امتا يا هانم؟
مريم: أنا وصلت البيت على الساعة 11 تقريباً.
حنين: يا نهاركِ أسود يا زفته.
مريم: أنا غلطانة أنى بحكي لك.
حنين: طب ماتزعليش.
مريم: الوقت جري بسرعة، منير كان يجنن.. تحفة.
حنين: والله أنتِ اللي تحفة ومجنونة، على العموم اللي حصل حصل والكلام مايجبش همه دلوقتى. ربنا يهديكِ.
مريم: طب سلام دلوقتى علشان بيرنلى على الموبيل، أكملك بعدين.

حنين: ماشى سلام.
وبعد أن أنهيت حنين المكالمة مع مريم التفتت لتجد سندريلا تجلس أمام التليفزيون تتابع قناة الأغاني في دهشة وإعجاب وتكاد تتمايل مع الموسيقى، لقد استهوتها موسيقى عصرنا الصاخبة بعد أن كادت تصم آذانها عندما سمعتها أول مرة.
وجلست بجوارها سارحة الفكر من جديد ولكن هذه المرة في مريم والطريق الذي تسلكه وكيف ستكون النهاية؟ وكيف تمنح كل ما تملك لـ منير والمقابل سيكون صدمة قوية قد لا تتحملها، بخلاف إنها ترتكب ذنباً كبيراً في حق نفسها، وأفيق على صوت سندريلا تصرخ في وجهي وتقول: حنين إنتِ على طول كده سرحانه؟!
حنين: آسفة يا سندريلا أصل التليفون كان مع مريم صديقتي تخبرني بأشياء جعلتني أخاف عليها.
سندريلا: وما تلك الأشياء التي قالتها لكِ وجعلتك تخافي؟ أليست مريم هي تلك الفتاة التي كادت تبكي عندما كنتِ تتحدثين إليها وتنصحيها بترك الشاب الذي تحبه؟
حنين: نعم، هي لديك ذاكرة فولاذية يا مليكتي.
سندريلا: وماذا قالت لكِ؟
حنين: قالت إنها قضت أمس بأكمله مع ذلك الشاب، بعد أن كانت متماسكة وعازمة على إنهاء علاقتها به ولكنها أبداً لا تستطيع أن تقاومه وكأنها مسحورة.
سندريلا: إذن فهي تحبه جداً.
حنين: تحبه بجنون، تحبه أكثر من نفسها ولكنه لا يستحق ذلك الحب.
سندريلا: ولماذا لا يستحقه؟
حنين: لأنه يستغل حبها ليأخذ منها ما يريد وعندما تطلب منه الزواج يرفض.
سندريلا: ولما يرفض؟ ألا يبادلها نفس المشاعر؟!

حنين: يحبها ويغار عليها كالمجنون، ولكنه يرفض الزواج منها، وكلما أحس أنها ستضيع منه يقوم بغزو حياتها ويحاصرها إلى أن تُسلم له، فيتركها مرة أخرى، وهكذا تمر بها السنوات دون أن تشعر.
سندريلا: هكذا الرجال في كل العصور.. الأنانية سمة مميزة لهم، يريد أن يأخذ كل شيء دون أن يعطي شيئاً.

حنين: الأنانية صفة للإنسان بشكل عام، فكل منا يحمل بداخله أنا.
سندريلا: هذه حقيقة ولكنها تتجلى في الرجال أكثر منها في النساء.
حنين: ولكن..
وقبل أن تكمل جملتها يُسمع باب الشقة يفتح وكانت والدة حنين هي التي تدير المفتاح.
حنين: آهلا مامى.
الأم: آهلا حبيبتي، آهلا ساندي، ازيكم يا بنات؟
ساندى: آهلا سيدتي.
ودخلت الأم تُقبل ابنتها وصديقتها، ثم تجلس على الأريكة تلتقط أنفاسها بعد يوم عمل طويل وبعد دقيقة تقول الأم:
أنتِ مارحتيش الشغل النهاردة يا حنين ولا إيه؟
حنين: رحت وقدمت إجازة أسبوع.. ورجعت من ساعتين تقريباً.
الأم: وتركتي ساندي هنا وحدها؟
حنين: آه وكانت هاتوه.
الأم: ماهو عويس قال لي على اللي حصل.
حنين: الحمد لله، ربنا ستر.
الأم: طب عملتى حاجة للغداء.
حنين: لا.
الأم: شاطرة، يعنى جايبة البنت تجواعيها يعنى تقول علينا إيه؟

ساندى: معليش يا طنط أنا مش جعانة دلوقتي إحنا لسة كنا بنفطر.

حنين: شوفتي.
الأم: آه شوفت، شوفت الخيبة القوية.
ثم قامت من مكانها متجها إلى غرفتها.
وتقول ساندي بعد أن قامت الأم: لديك أم جميلة يا حنين، تحبك جداً.
حنين: نعم إن أمي جميلة الشكل والطبع أيضاً، تبذل أقصى ما في وسعها لتسعدني أنا وأخي معتز.
ساندي: وأين والدك؟ إنني لم أره منذ حضرت وأنتِ لم تتحدثي عنه! حنين: والدي تركنا منذ أن كان معتز في السابعة من عمره.
ساندى: توفى؟ الله يرحمه.
حنين: يا ليته توفى، لم يتوفى بل طلق أمي وتزوج من أخرى وله ولد منها.
ساندى: إذن فلك أخ آخر غير معتز.
حنين: نعم ولكني لا أعرف عنه شيئاً، وإن قابلته لن أعرفه.
ساندي: لماذا؟!
حنين: إنني أكره أبى وأكره كل ما يربطني به، لقد تركنا ونحن صغار ولم يفكر في زيارتنا أو السؤال عن أحوالنا منذ عشرين عاماً.
ساندي: أيعيش ببلاد بعيدة عن هنا؟
حنين بسخرية: بلاد بعيدة، هاهاها إنه يسكن على مقربة ساعة ونصف بالسيارة من هنا.
ساندى: فلما لم يكن يزوركم؟!
حنين: إنه يعتبرنا غلطة في حياته، وتمنى لو لم يتزوج أمي أو ينجب أي منا فكيف كان سيزورنا أو يحبنا يوماً ما!
ساندي: ولكن هذا شيء غريب حقاً، هل كان يرسل لكم أموالاً لتعيشوا منها؟

حنين: طبعاً لا، أمي هي التي تولت شئوننا أنا ومعتز ولم تفكر في الزواج مرة أخرى كما تفعل بعض الأمهات، بل كرست كل حياتها لتربيتنا، أما أبى فهو مجرد اسم في حياتي إنني بالكاد أتذكر شكله.
ساندي: وهل فكرتِ يوماً في زيارته؟
حنين: منْ؟ أنا! طبعاً لا.
ساندي: إنها مشاعر غريبة، قلوب قاسية كقسوة الجليد عندما تنهار الجبال الجليدية وتدفن تحتها أناس أبرياء، ولكن تُرى من أين حلت هذه القسوة في قلوبكم؟
حنين: الكل يبحث عن مصلحته الشخصية، كراهية كاملة دونما التفكير في تأثيرها على الأخرين من حوله، وبالتالي تكون ردود الأفعال من نفس النوع، فكان لابد أن تكون تلك هي النتيجة، كراهية.. بغضاء.. حقد..
وقبل أن أكمل جملتي أتانا صوت أمي من المطبخ تنادي عليّ فتركت ساندي بغرفة المعيشة، واتجهت لأجيب أمي، وأدخل المطبخ فعلا؛ لأساعدها وبعد دقائق جاءت ساندي، واقترحت إعداد طبقاً من أطباق الغذاء ووافقت أمي، وبعد الانتهاء من إعداد الطعام كان معتز قد عاد، ومكثنا جميعاً على السفرة نتناول وجبة الغداء.
وبعد الانتهاء من تناول الغداء ذهبت أنا وساندي لغرفتي؛ لننال قسطاً من الراحة، وما إن أغلقت باب الغرفة حتى فتحت أمي الباب، وأخذت تحملق في محتويات الغرفة وكأنها تبحث عن شيء ما.

حنين: هل تبحثين عن شيء يا أمي؟
الأم: لا أبداً، هو مافيش هدوم للغسيل عندكم؟
حنين تنظر لامها باستغراب فقد اعتادت إن تضع ملابسها المتسخة أولا بأول في الغسالة فما الداعي لهذا السؤال؟ وتقول حنين: هو في إيه يا مامي؟
الأم: هي ساندي بتلبس هدومك ليه؟ فين شنطة هدومها؟

وتبتسم حنين من سؤال الأم الغير متوقع، ثم تنظر لساندي بارتباك، ثم تعاود النظر لأمها وتقول: لقد فقدت ساندي حقيبة سفرها بالمطار و.. ولم يجدوها حتى الآن وسوف نذهب لنحضرها لاحقاً، خلاص! سبينا نستريح.

الأم: أين فقدت الحقيبة في مطار القاهرة؟
حنين: أيوة.
الأم: طبعاً لن تجدها، هي ساندي كانت جاية على طيران ايه؟
حنين: يا مامي مش وقت أسئلة، روحي استريحي أنتِ.
الأم: طيب، أنا اللي غلطانة.
حنين تقترب من الأم وتقبلها على خدها؛ كي لا تغضب منها وتفتح الباب وتقول: اذهبي الآن يا ست الكل وما تشغليش بالك بالحاجات العبيطة دي.
الأم تنظر لـ حنين وساندى قبل الخروج من الغرفة وهى تحس شيئاً مريباً يحدث لا تفهمه، ولا تريد ابنتها الإفصاح عنه وبعد خروجها تقفل حنين باب الغرفة وهى تتنفس الصعداء من مكر أمها. ثم تنظر لساندي وتقول: كنا هننكشف!

ساندي بنوع من الدهشة وشيء من الخوف تقول: آه فعلاً.
ثم جلست سندريلا على الكرسي أمام مرآة التسريحة تنظر لنفسها باستغراب وهى تفكر فيما دار بين حنين وأمها.. في حين اتجهت حنين لدولابها وجذبت بيجامة، ثم ترتديها وترتمي على السرير وهى تقول: ماذا تفعلين يا ساندي؟ لماذا تحملقين هكذا؟
ردت ساندي وكأنها تفيق من حلم: ماذا تقولين يا حنين؟
حنين: الأميرة الأسطورة كانت سارحة تفكر في ايه يا ترى؟
سندريلا: نعم، كنت أفكر في جلالة الملك، أظنه يبحث عني في كل مكان بالمملكة الآن وقد استبد به القلق.
حنين: ألم تقولي لي إنكِ كنت بقصر الأحلام وحدك؟

سندريلا: نعم، ولكن الحراس والخدم سيفتشون عني في كل مكان، وبالطبع لن يجدوني، فسيرسلون للملك بخبر اختفائي.
حنين: وكم يستغرق المرسال من وقت كي يصل لقصر الملك؟
سندريلا: يستغرق مسيرة يوم كامل ونصف.
حنين: هل تريدين العودة لعالمك؟
سندريلا: نعم، إن عالمكم جميل حقاً ولكنه بدون مليكي وحبيبي لا يساوى شيئاً.
حنين: ولكنكِ وعدتني أن تحكي لي عن الحب في زمانكم أليس كذلك؟ ألم يكن هناك اتفاقا بيننا؟ كما أنكِ لم تري ما أود إن أطلعك عليه وأستشيرك فيه.
ساندي: آه ولكن كان الاتفاق أن تحكي لي مشوارك مع الحب أولا وقد فعلت وأنا قلت لكِ حقيقة قصتي فماذا تريدين غير ذلك؟
حنين: يوم واحد فقط لا يكفي.. أرجوك.
سندريلا: سأنتظر يوماً آخر فقط، لا أستطيع أن أبقى هنا أكثر من ذلك.
حنين: فلنجعلهم يومين.
سندريلا: تمام موافقة. وفيما تريدين استشارتي؟
حنين: أريدكِ أن تساعديني أنا وأصدقائي فكما رأيتِ لكل منا مشكلتها الخاصة.
سندريلا: ولكن ذلك يحتاج إلى وقت.
حنين: أرجوكِ.
سندريلا: آه منكِ أيتها الفتاة، إنني أبداً ما حنثت وعداً قطعته على نفسي فما العمل.
حنين: إذن اتفقنا ستبقين يومين حتى زفاف صديقي يوسف.
وتومئ سندريلا برأسها إعراباً عن الموافقة، وهنا يدق جرس موبايل حنين وتبدأ في البحث عنه بإتباع الرنين حتى تجده في شنطة يدها الموضوعة على المكتب بغرفتها.
ثم ترد: الوو آهلا سالي أنت فين غطسانة من يومين؟ ها؟

سالي: كنت مع جاسر في مارينا يومين حلوين أوي حفل اختيار ملكة جمل مصر.
حنين: يا بنت الـ...
وقبل أن تسرد حنين قاموس الشتائم تقاطعها سالي قائلة: مريم عندي وكنا ضبطنا الدش على المحطة ومستنين الفيلم أنتِ جاية ولا.
حنين باستغراب: فيلم، فيلم إيه؟
سالي وهي تتحدث إلى مريم وتسمع حنين في نفس الوقت: البت حنين بتستعبط وعاملة مش فاهمة وعلى الفور تخطف مريم السماعة من يد سالي وتقول: أيوه يا حنين، أنتِ نسيتى صحيح ولا حد جنبك؟

حنين: بجد مش مركزة.
مريم: الفيلم بتاع كل أسبوع يا بت اللي بنشوفوا، يظهر صحبتك دى لحست عقلك، على العموم إحنا مستنينك تعالي بسرعة.
حنين: آه افتكرت، ماشى جاية بس هجيب ساندي معايا ماشى؟
مريم: الأمر لله، يعنى هي محتاجة تتفرج.. عجايب والله.
حنين: خلاص، أتفرجوا انتوا، أنا مش جاية.
مريم: وبعدين معاكِ يا حنين أنا بهزر معاكِ يا رخمة.
حنين: جاية يا زبالة باى.
ثم تغلق حنين الموبيل وتنظر لسندريلا وتقول: هيا بنا نستعد للخروج.
سندريلا: إلى أين سنذهب؟
حنين: عند صديقتي سالي.
سندريلا: لماذا؟
حنين: ليس هناك وقت سأقول لكِ في الطريق.
سندريلا: تمام .. تمام

وتهم بتغير ملابسها هي تقول: عالم غريب كل شيء بسرعة ومفيش وقت حد يفهم حاجة.
وبعد دقائق تكونان عند مدخل الجراج وتركبان السيارة متجهتان إلى منزل سالي التي تسكن نفس المنطقة، حيث تتشابه الشوراع والأبنية، تركن حنين سيارتها السوداء بجانب الرصيف الموازي للبرج الذي تقطنه سالي وتنزل من السيارة، تتبعها سندريلا ويستقلان المصعد، ثم تدق باب إحدى الشقق بالدور العاشر، وتفتح سالي الباب مرتدية بيجامة شورت، وتلقى السلام وتدخلان وكالعادة تحملق سندريلا في كل شيء من حولها، وتقودهم سالي إلى غرفة نومها حيث كانت مريم جالسة على الأرض أمام شاشة التليفزيون بالغرفة وتدعو ساندى للجلوس بعد إن تلقى عليهم السلام.
حنين: الفيلم بدأ؟
سالي: آه من 10 دقائق بس.
حنين: كويس إيه الأخبار Techno ولاLive؟
مريم: لا يا بت Live.
ساندي: أنا مش فاهمة حاجة، هو في ايه؟
وكان الفاصل الإعلاني الذي يقطع الفيلم قد انتهى فلم ترد عليها أي منهن، ولكن جاءتها الإجابة سريعة عبر شاشة التليفزيون حيث امرأة ورجل شبه عاريان يتبادلان القبلات الحارة في غرفة معيشة على الطراز الأمريكي.
وما أن تشاهد سندريلا ذلك حتى تصيبها صدمة مما وقعت عيناها عليه، ثم تنظر للفتيات حنين، مريم، سالى.. ترى في عيونهم بريق ونشوة مستمتعات بما يشاهدون وكأن ذلك شيء معتاد.
تعاود سندريلا النظر للشاشة لتجد الأمر تطور إلى أن أصبح الاثنان، المرأة والرجل، عاريين تماماً ويمارسان الجنس علانية، فما كان من سندريلا إلا الصراخ، فانتبهت الفتيات لسندريلا.
حنين: ساندي مالك.. في ايه؟!
مريم: مالها يا حنين، هي تعبانة ولا ايه حكايتها؟!

سالي: هيضيع الفيلم علينا، شوفي عندك يا مريم برفيوم تفوقها. وتسرع مريم إلى التسريحة وتحضر زجاجة برفيوم كانت على تسريحة سالي بالغرفة ثم تنثر بعضاً منه على يدها وتضع يدها على أنف ساندي.

وتفتح ساندي عينيها الزرقاواتين وتنظر للفتيات من حولها وقد عادت لوعيها، وتذكرت أين هي، ثم وجهت حديثها لثلاثتهن قائلة: ماذا أنتن فاعلات؟ كيف تجرؤان على التجسس على الأخرين من خلال ذلك الجهاز اللعين؟ اتصل بكم الوقاحة إلى تلك الأفعال المشينة؟
مريم وسالي باستغراب في آن واحد: ايه تجسس؟!
حنين: ايه الهزار البايخ ده يا ساندي! تعالي معايا.
وتشدها من ذراعها لخارج الغرفة وهى تقول: كملوا أنتم الفيلم، أنا وساندي هنتفاهم برة.
وتأخذها لغرفة المعيشة وتجلسان على الأريكة الموجودة بالغرفة.
حنين: إيه يا ساندي اللي عملتيه ده؟ تجسس ايه بس؟ أنتِ كده كنت هتبوظي الدنيا.
ساندي: أمال أنتم بتعملوا ايه؟
حنين: ده فيلم، فيلم يا ساندي والراجل والست دول بيعملوا كده بمحض إرادتهم ويعلمون تماماً أن آلاف أخرين سيشاهدون فيلمهم هذا.
ساندي: فيلم؟ حنين: ايه أنتم ما كنتوش بتتجسسوا على حد؟
حنين: لا يا ساندي.
ساندي: ولكن كيف هذا؟
حنين: إن مثل تلك الأفلام لا تذاع في مصر علانية كما في أوروبا وأمريكا ولقد عثرنا على هذه القناة صدفة منذ فترة واعتدنا على مشاهدتها هنا في منزل سالي.

ساندي: ولكنها أفلام فاضحة جداً، وأنتِ وصديقاتك فتيات مهذبات على ما يبدون، ولم أكن أتخيل أن يصدر منكن هذا التصرف المشين.
حنين: في البداية لم نكن نبحث وراء تلك القناة ولكن كان حب استطلاع، فكثيراً ما سمعنا عن تلك القنوات الإباحية من فريدة حيث شاهدتها عندما كانت تعيش في أوروبا.
ساندي: وهل هذا مبرر لأستمرار مشاهدة تلك القناة؟
حنين: إننا لم نعد صغيرات، كما أن هذه غريزة إنسانية خُلقنا بها مثل باقي الغرائز وتلك القنوات مباحة في أغلب أنحاء العالم.
ساندي: ماذا تعنى بكلمة مباحة؟
حنين: أي أن مشاهدة تلك الأفلام لا تحرمه قوانين هذه البلدان.
ساندي: هل ما أسمعه حقيقة أم خيال؟
حنين: أنها الحقيقة وربى.
ساندي: أي حقيقة تلك؟ وأي عالم هذا الذي تعيشونه؟
حنين: أنه العصر الذي بهركِ يا أميرتي "عصر التكنولوجيا".
ساندي: أريد ترك هذا المنزل فوراً.
حنين: اوكى، انتظري هنا حتى أخبر سالي ومريم أننا سنرحل.
وتتجه حنين إلى غرفة سالي وتفتح الباب وتلقى نظرة على شاشة التليفزيون وتقول: أنا ماشية يا بنات، سلام.. أشوفكم بعدين.
سالي: ليه؟
سالي: والفيلم؟
حنين: أصل ساندي تعبانة شوية ولازم أرجعها البيت.
مريم: مالها؟
حنين: معدتها فيها مغص وسخنة شوية.
مريم: ده الفيلم اللي سخن قوي يا بت
سالي: هيفوتك.
حنين: معليش احكي لى بعدين بالتفصيل.. هاهاها

وتغلق حنين باب الغرفة وتعود إلى ساندي التي كانت تنتظر بغرفة المعيشة، وتغادران منزل سالي.تقود حنين السيارة ولا تعرف إلى أين تذهب أو ماذا تقول! إلى أن فاجأتها سندريلا بسؤال: هل فريدة وسهام تشاهدان هذه النوعية من الأفلام معكن؟
حنين: لا ولكن لماذا تسألين هذا السؤال؟
سندريلا: ولماذا لا أسال؟ ولماذا لا تشاهدان؟
حنين: سهام متزوجة، أما فريدة قد شاهدت الكثير منها وهى تعيش في أوروبا ولم تعد تهوى مشاهدتها الآن.
سندريلا: أريد أن أقابل فريدة وسهام الآن.
حنين: لماذا؟
سندريلا: ستعرفين عندما نقابلهم.
حنين: ماذا؟!
سندريلا: دائماً تفاجئيني بقولك ستعرفين فيما بعد، أليس من حقي أن أفاجئك مرة؟
حنين: اوكى.. اوكى، موافقة.
وتلتقط تليفونها المعلق على الحامل أمامها بتابلوه السيارة وتتصل بفريدة وتطلب منها أن تقابلها، فتوافق فريدة وتطلب منها حنين أن تتصل بـ سهام، وتطلب منها الحضور، وأن تقول لها تلبس وتنتظرها.

وتغير حنين مسارها متجهة إلى منزل سهام وتركن سيارتها منتظرة نزول سهام، وهى لا تزال تفكر فيما تخطط له سندريلا وأنه حتماً متعلق بالفيلم الذي شاهدته عند سالي، ولكن السؤال لماذا فريدة وسهام؟ هل لأنهن لم تكونا موجودتان عند سالي؟
ترى حنين سهام تظهر أمام بوابة البرج الذي تقطنه تبحث بعينها عن سيارة حنين، ثم تجدها وتتجه إليها، وفى نفس الوقت تدير حنين محرك سيارتها استعداداً للانطلاق في طريقها لمنزل فريدة

وكانت سهام قد عبرت الشارع، وفتحت باب السيارة الخلفي ودخلت ثم أغلقت الباب وقالت: هالو حنين، هالو ساندي، في ايه؟
فردت الاثنتان التحية.
وقالت حنين: عندما نصل عند فريدة ستعرفين وأدارت حنين الكاسيت.
وبعد خمسة عشر دقائق وصلوا إلى منزل فريدة، حيث كانت تسكن بإحدى الفيلات من طابقين على كورنيش النيل بالمعادى وعلى البوابة أطلقت حنين صفير سيارتها وبعد ثوان فتحت بوابة الفيلا وأدخلت حنين سيارتها، وركنتها بمدخل الفيلا وخرج الثلاثة من السيارة متجهات إلى سلم الفيلا، سهام في المقدمة تليها سندريلا ثم تتبعهما حنين، وتدق سهام الجرس وتفتح لها الخادمة، التي ترتدي ملابس أنيقة لا يبدو لأول وهلة إنها خادمة، وتلقي عليها سهام التحية وتدخل
وتقول لها: روحي اندهي فريدة.
وعلى الفور تتجه الخادمة إلى سلم آخر داخل الفيلا مؤدى إلى الدور الثاني وتغيب فترة في حين تجلس سهام وحنين وساندي بغرفة الاستقبال، ثم بعد ثلاث دقائق تظهر أعلى درجات السلم فريدة وورائها الخادمة.. ثم تنزل فريدة وتلقى التحية والقبلات على ثلاثتهن قائلة: يعنى متجوش عندي إلا لما ساندي تطلب بس؟!
سهام: عندك حق يا فريدة إحنا مقصرين فعلاً، ولكن هو أنتِ بتقعدى في البيت أبداً، أنتِ يا حبيبتي على طول برة البيت مشغولة.
فريدة: خلاص خلاص يا سهام أنتِ هتشرديلى؟ تشربوا ايه؟
سهام: طيب، اشرب شاي.
تضحك فريدة ثم تنظر لساندي وتقول: وأنت يا ساندي تشربي ايه؟
ساندي: قهوة مضبوطة من فضلك.
حنين: وأنا كمان قهوة مضبوطة.
وتنادى فريدة على الخادمة: يا "فتحية" أعملي واحد شاي واثنين قهوة مضبوطة بسرعة.

وتذهب الخادمة لتعد المشروبات
تنظر فريدة لـ حنين ثم ساندي ثم سهام وتقول: آهلا وسهلا، ايه الحكاية؟ يا ريت يكون خير!
حنين: إن شاء الله خير.
ساندي بحدة: لا مش خير أبداً.
سهام: هو فيه ايه؟
ساندي: يا ريت نتكلم في مكان مغلق يا فريدة.
فريدة: تعالوا نقعد في حجرتي أحسن.
حنين: ماشى.
ساندي: تمام.

واتجهوا جميعاً خلف فريدة إلى السلم الداخلي بالفيلا ووقفت فريدة أمام أحد الغرف، وتقول لهم أتفضلوا هنا سنكون على راحتنا. ويدخلون جميعا وتغلق فريدة الباب لأنها كانت آخر من دخل الغرفة. وغرفة فريدة تختلف اختلافات بسيطة عن غرفة حنين ولكن الأساسيات هي نفسها من مكتب عليه كمبيوتر، تكيف وما إلى ذلك من احتياجات البيوت العصرية التي لم تكن تعرفها ساندي أبداً وليس لها وجود في عالمها، وتجلس ساندي على كرسي المكتب وسهام ترقد على السرير، أما حنين وفريدة فتجلسان على الأرض.
وتبدأ الحوار ساندي قائلة: أود أن أسألكم سؤال كم تبلغ كل واحدة فيكم من العمر؟
فريدة: هل هذا هو سبب حضوركِ إلى هنا؟
ساندي: أرجو ألا تعتبري السؤال تطفل أو إهانة ولا تسيء فهمي، أنه سؤال لبداية الحديث.
حنين: اوكى، أنا عندي 28 سنة.
فريدة: وأنا 28 سنة.
ساندي: وأنت يا سهام؟
سهام: أنا 29 سنة، ولكن..

وقبل أن تتكلم قاطعتهم ساندي قائلة: إذن كلكم تعديتم سن المراهقة بسنوات عديدة.
سهام: ايه، أنتِ عايزة توصلي لآيه بالضبط؟
وتكمل ساندي متجاهلة سؤال سهام وتوجه سؤال آخر إلى حنين: وهل مريم وسالي في نفس عمركم؟

حنين: نعم مريم 27 سنة وسالي 28 سنة.
ساندي: ولماذا لم تتزوجوا حتى الآن؟!
فريدة ترد مندفعة ومنفعلة: أنتِ جاية تهزئي بنا؟
ساندي: لماذا أنتِ منفعلة وغاضبة هكذا يا فريدة؟ لقد ذهبت اليوم أنا وحنين لزيارة صديقتكم سالي في بيتها، وكانت بصحبتها مريم ورأيت ما أحزنني وجعلني أفكر، وتلف رأسي الأسئلة وكل ما أريده أن أفهم وأجد إجابات لتلك الأسئلة، لعلي في النهاية أستطيع مساعدتكم قبل أن أرحل عن عالمكم وأعود لعالمي مرة أخرى.
سهام: ماذا؟! تعودين لعالمك؟ ماذا تقصدين؟
حنين: تقصد أن ترحل إلى بلادها أوروبا يا سهام.
سهام: آه أصل طريقة كلامها غريبة اوي صحبتك دي.
فريدة: وماذا رأيت في بيت مريم؟
ساندي: رايتهم يشاهدون أشياء تنافي الآداب العامة ولا يصح أن يروا مثل تلك الـ ...لا أعرف اسمها ولكن كانوا يشاهدونها في ذلك الجهاز الذي يسمى تليفزيون.
فريدة تنظر إلى حنين وتوجه لها السؤال: ماذا كانوا يشاهدون؟
حنين: كانوا يشاهدون فيلم جنس.
فريدة: آه فهمت، ثم نظرت لساندي قائلاً: وماذا في مشاهدة تلك الأفلام أنها من إنتاجكم في البداية، ثم صدرتموها لنا كما تصدروا لنا المنتجات الاستهلاكية وتصدروا لنا السلاح أيضا وتلك الأفلام نوع من أنواع السلاح الذي تصدروه لنا ثم تحاربونا به.
سهام: فريدة هي ذنبها إيه بتهاجميها ليه؟

فريدة: هي التي أتت بلادنا والآن تهاجمنا لمشاهدة ما تصدره بلادها لنا.
ساندي: أرجو أن تهدئي يا فريدة فلست هنا لمهاجمة أحد، بل للمساعدة.
فريدة: أي مساعدة تلك التي تتحدثين عنها؟
حنين: ايه يا فريدة لمي الدور شوية إحنا في بيتك.
ساندي: ماشى علشان خاطرك بس.
ساندي: هل لى أن أسألك يا فريدة سؤال شخصي.
فريدة: اتفضلي.
ساندي: لماذا لم تتزوجي حتى الآن وأنا أعرف أن فتيات في مثل سنكِ يجب أن تكون متزوجة ولها أطفال أيضاِ؟!
فريدة: سؤال ليس موجه لكِ وحدكِ حتى لا تظني أنني أهاجمك بل موجه إلى حنين ومريم وسالي ولكن أود أن أسمع منكِ الإجابة.
فريدة: هناك مثل عندنا يقول الأسباب كثيرة والموت واحد، أي أن هناك أسباب متعددة لعدم زواجنا حتى الآن ولكل منا ظروفها وأسبابها هذا بخلاف أسباب أخرى ليس لنا يد فيها فرضتها الظروف والحياة علينا ولا نستطيع تغيرها، أنتم أيضا في أوروبا تعانوا من تلك الظروف، ولكن أوجدتم الحل البديل السهل حتى استفحلت الرذيلة فصدرتموها لجميع أنحاء العالم، ونحن نقلدكم في كل شيء، الموضة، أسلوب العمل، أسلوب الحياة وهكذا استفحلت الرذيلة عندنا بالتبعية.
ساندي: لقد خرجت عن الموضوع يا فريدة، أنا لا أتحدث عن الظروف بصفة عامة ولكني أتحدث عنكِ بصفة خاصة.
فريدة: عني أنا!

وفى تلك الأثناء دقت الخادمة الباب وفتحته برفق تحمل في يدها صينية بها المشروبات التي طلبوها جميعاً، عندما كن يجلسن في البهو، وطلبت فريدة من الخادمة أن تترك الصينية وتعود من حيث

أتت وتهم سهام بجذب الصينية نحوها لترى ما بها وتقدم لكل منهن مشروبها.
وفى تلك الأثناء كانت تتأهب فريدة للتحدث عن نفسها وتقول: أنا قضيت سنوات طفولتي هنا في مصر، ثم أكملت دراستي في إنجلترا سافرت وأنا في الثامنة عشرة من عمري، وعدت منذ عامين فقط، أحيانا أحس بالضياع، لقد تغيرت كثيراً أثناء إقامتي في أوروبا، وعندما عدت إلى مصر، حاولت الاندماج مرة أخرى في الحياة التي كنت أحياها قبل سفري ولم أستطع، كما أنني لا أستطيع أن أعيش كما كنت أعيش في لندن، أمضيت عشر سنوات ما بين الدراسة والعمل وزيارة جميع أنحاء أوروبا وكنت دائماً، أعقد مقارنة بين الحياة في مصر وأوروبا وأجد مزايا للحياة في أوروبا ومزايا أخرى للحياة في مصر، فهم في أوروبا يفكرون بطريقة عملية في أغلب الأحيان، ونحن هنا على العكس تماماً منهم.
ساندي: وما دخل كل ما سردتيه بالزواج؟!
فريدة: طبعاً له دخل كبير، كيف اختار زوجاً أو أقُبل الزواج من شخص لا أعرفه؟ كما إن كل من يتقدم لي عندما يعلم أنني عشت عشر سنوات في أوروبا وحدي ينتابه الشك في سلوكي وينهال على بالأسئلة، منذ عدت إلى مصر وكل الرجال يتعاملوان معي بأسلوب مختلف لأنهم يفهمون الحرية خطأ والنتيجة أنني أجد نفسي في عالمي الخاص بالرغم أنني قابلت الكثير من الرجال خلال العامين الماضين إلا أنني لم أقابل رجلاً يفهمني ويفهم عقلي وقلبي وأسلوب حياتي، لم يستطع رجل أن يصل إلى أعماق قلبي ويرى ما به، الكل يرى جمالي، مالي، علمي، لم أجد رجلاً يتعايش مع قلبي وعقلي معاً.
واستطردت: فهل أتزوج لمجرد الزواج، هل أفعل مثل مئات، بل آلاف الفتيات اللاتي تزوجن لمجرد الزواج، ثم هم الآن ما بين متزوجات تعيسات في زواجهن أو مطلقات. لا لن أفعل ذلك أبداً حتى لو لم أتزوج أبداً.

سهام تقاطعها وتقول: طب وإبراهيم؟
فريدة: إبراهيم حاله من حالي، ممزق.
ساندي: أليس إبراهيم هو ذلك الشاب الذي دعانا إلى الأوبرا؟
حنين: نعم هو يا ساندي.
ساندي: أيحب فريدة؟
سهام تنظر لفريدة وتقول: شفتي حتى ساندي عرفت أنه بيحبك.
فريدة: هو أي رجل يهتم بست يكون بيحبها، لا وجود للصداقة في العلاقة بين الرجل والمرأة؟
حنين: طبعاً في صداقة بس إبراهيم فعلاً تعدى مرحلة الصداقة وأنت مش عايزة تفهمي.
فريدة: لو كان بيحبني ايه يمنعه أن يعترف لي بمشاعره؟ ايه ممكن يمنع الرجل أن يعترف بحبه للمرأة التي يعشقها دي أوهام في رؤوسكم أنتم فقط، أنا وإبراهيم أصدقاء من زمن بعيد جداً.
سهام: ولهذا السبب لا يستطيع أن يعترف بحبه لك؛ لأنه يخاف أن يفقدك إلى الأبد إذا ما اعترف لك بحقيقة مشاعره، ويكتفي بملازمتك أينما ذهبت، ألم يلحقك إلى باريس بحجة استكمال دراسته وعندما قررت العودة لمصر عاد معكِ؟ لماذا سافر ولماذا عاد معكِ؟ ألم تسالي نفسك هذا السؤال ولماذا لم يتزوج حتى الآن رغم أنه يملك المال؟
فريدة: هل المال وحده سبب لعدم الزواج؟ أنا أيضاً املك المال ومع ذلك لم أتزوج لأنني لم أقابل الرجل الذي أقبل العيش معه باقية حياتي وإبراهيم أيضاً لم يجد الفتاة التي تفهمه فيتزوجها.
سهام: البت دي مفيش فايدة فيها هتجنني.
تقول ذلك وتهم بالقيام متجها إلى البلكونة.
فريدة: ملها البت ديه!
فريدة: على فكرة يا فريدة أنا موافقة على كلام سهام صدقيني إبراهيم بيحبك وأنا شايفة أنه الرجل المناسب لكِ لأنه عرفكِ كويس ومتأكد من أخلاقكِ، يعنى مش محتاج يمتحنك.

فريدة: يعنى أعمل ايه؟ اسأله أنت بتحبني تعال اتجوزنى! انتو مجانين.
ساندي: ليس المهم ما تراه الأخريات ولكن المهم ما يراه قلبك وإحساسك وقبل كل ذلك يجب أن تتأكدي من مشاعرك تجاه، هل هي مجرد صداقة وليس بها شبهة حب أم أن هناك بعض المشاعر التي لا تستطيعين البوح بها حتى بينك وبين نفسك وتعود سهام أثناء حديث ساندي.
فريدة: ماذا تقصدين يا ساندي؟
ساندي: أحياناً قد يكون المرء يحب شخص لدرجة أنه لا يشعر بذلك الحب، ولكن يراه الآخرون مثل حالتك هذه، الكل من حولكِ يؤكد على وجود ما هو أكثر من الصداقة ولكن تنكريه وقد ينكره هو أيضاً.
فريدة: وماذا أفعل كي أتأكد من الحقيقة؟
حنين: يجب أن تمري باختبار لكل منكما.
حنين: اختبار!
سهام: أنا فاهمه قصد ساندي تقصدي تمتحن نفسها إذا كانت بتحب إبراهيم ولا لأ... صح؟
ساندي: نعم، هذا ما أقصده وبعد ذلك يمكن أن تخبريه عن حقيقة مشاعركِ.
فريدة: رجعنا لنقطة البداية، كيف أخبره بحقيقة مشاعري؟
ساندي: ليس معنى كلامي أن تدقي بابه وتسأليه هل تحبني أم لا ولكن يمكن أن تخبريه دون أن تنطقي بكلمة واحدة.
إن المشاعر والأحاسيس كالطيور تحلق في السماء ولا أحد يمنعها من الطيران، عندما يكون الحب صادقاً لا يمنعه أحد ويكون بمثابة نهر لا ينضب أما إذا كان طرف يخدع الأخر يكون الحب بمثابة كذبة يعيشها طرف دونما الأخر إلى أن يكتشف المخدوع فتكون صدمته الكبرى.

عندها تسرح حنين بعيونها وتتذكر صدمتها وتعي كلام ساندي، ويسود الصمت لحظات، الكل يفكر كيف أن الحب سلاح ذو حدين قد يرفع الإنسان إلى السماوات ليحلق فيها كطائر جميل مغرد وقد يهبط فجأة فيهوي على الأرض من هول الصدمة.
وتكسر الصمت فريدة بسؤالها: كيف أختبر نفسي يا ساندي؟
ساندي: بما تشعرين عندما يغيب عنكِ إبراهيم عدة أيام أو أسابيع؟
سهام ترد وهى تضحك: أنه لا يبتعد عنها أبداً.
فريدة: فعلا لم يتصادف أن غاب عنى أكثر من يومين.
ساندي: إذن جربي البعاد، أبتعدي عنه فترة، ولتكن أسبوعاً أو أسبوعين دون أي اتصال، فإذا ما شعرتي باشتياق له وإن شيئا مهم ينقصك، هذه إشارة طيبة، فالبعض لا يشعر بمدى حبه للطرف الأخر إلا بالفراق وأنا متأكدة أنكِ ستصلين إلى نتيجة سريعة وهو أيضاً سيعرف كل منكما ماذا يمثل الآخر له وعندها يكون القرار.
حنين: هو ده الكلام.
سهام: ياريت مريم كانت هنا تسمع نصيحة ساندي.
ساندي: في الواقع أنا جئت لبحث مشكلة مريم وسالي وليس مشكلة فريدة ولكن على كل الأحوال هذه بداية طيبة على ما أعتقد.
حنين: مشكلة مريم كبيرة وصعبة، فنحن جميعاً متأكدين من حب إبراهيم لفريدة ولكن منير لا يحب مريم، بل يستغل حبها له، أعطته كل شيء، ولم تأخذ غير الذل والعذاب، يتلاعب بمشاعرها، أناني تعود أن يأخذ منها كل شيء دون مقابل.
ساندي: ماذا تعني بأنه أخذ منها كل شيء بدون مقابل؟
سهام: دي كمان مش فاهمها!
فريدة: أنتِ على طول الخط هجومية يا سهام، إن العلاقة بينهما تعدت مرحلة الحب الرومانسي الجميل من تبادل للمشاعر والأحاسيس والنظرات واللفتات أو حتى القبلات والأحضان ووصل إلى مطارحة الغرام.
وتسكت فريدة اعتقاداً منها أن ساندي قد فهمت ولكنها لم تفهم.

فأكملت حنين: من الأخر نام معاها.
وكانت الكلمة بمثابة صدمة لساندي فقالت بإندهاش: أي أنها لم تعد عذراء؟!
سهام: لا لم تعد كذلك وهو يتهرب من الزواج منها، وهى تشاهد مثل تلك الأفلام لأنها لا هي متزوجة ولا هي عذراء ويوم بعد يوم تستفحل المشكلة أكبر وأكبر، وأنا خائفة عليها من أخر الطريق ده.
ثم نظرت في ساعتها وقالت: ايه ده الساعة عشرة أنا تأخرت جداً لازم أرجع البيت ده سيف زمانه على وصول.
هيا بنا يا حلوين وقامت وأمسكت بشنطة يدها متجه إلى فريدة لتقبلها ويتبعها حنين وساندي وتوصلهم فريدة إلى مكان السيارة بجراج الفيلا، وتقود حنين سيارتها متجه إلى منزل سهام وتتوقف بها أمام بوابة البرج وتلقى سهام التحية ثم تنزل من السيارة وتتجه للبوابة وتختفي هناك.

الفصل الثالث

اليوم الرابع

تواصل حنين طريقها مع ساندي عائدتان إلى منزل حنين في برج الأحلام وكالعادة أوقفت السيارة عند مدخل الجراج وجاء عم عويس يأخذ منها المفاتيح ليركن السيارة، ثم يلحقها بالمفاتيح أمام باب المصعد وتأخذ منه المفاتيح في نفس الوقت الذي تفتح فيه باب المصعد وتدخل هي وساندي وتصل إلى شقتها وتدخلان ويجلسان بحجرة المعيشة حيث كان أخو حنين معتز جالساً أمام التلفزيون ليشاهد أحد الأفلام الإنجليزية على قناة غير محلية. وكان من الواضح أنه فيلم وكان معتز مندمج جداً مع أحداث الفيلم

وسألته حنين: فيلم إيه ده يا ميزو؟

معتز: فيلم **MOON**

حنين: يا سلام، بقالوا كتير شغال؟

معتز: من حوالي ربع ساعة.

حنين: ساندي تعالى واتفرجي على الفيلم ده هيعجبك أوي.

ساندي: فيلم ايه؟!

معتز: يا بنتي الفيلم ده كان معروض في أوروبا من سنين أكيد أتفرجت عليه في السينما.

ساندي بدهشة: سينما!

وقبل أن تكمل ساندي سؤالها: أشارت لها حنين بالسكوت لأن العالم كله يعلم ما هي السينما اليوم.. فسكتت ساندي لحظات، ثم قالت: الحقيقة أنني لم أشاهد هذا الفيلم من قبل ولذا سوف أشاهد معكما.

معتز: ماشى اتفضلى.

وظل الثلاثة يشاهدون أحداث الفيلم وكان من نوعية أفلام الفضاء والخيال العلمي، كادت سندريلا تجن ولا تكاد تصدق ما تشاهد

وكانت من حين لآخر تنظر إلى حنين ومعتز فتجد الإبهار والإثارة تعتري وجوههما وسؤال يراودها، هل ما تشاهد حقيقة أم خيال هل هي في حلم أم واقع، هل هناك عالم آخر غير هذا العالم الذي نعيشه ومخلوقات أخرى لم نسمع عنها من قبل، وإن كانت واقع فعلاً كيف توصل إليها الناس وما هذا الكم الهائل من آلات والمعدات وسرعة هؤلاء الأشخاص وتوائمهم في التعامل مع تلك الأشياء.
تساؤلات كثيرة ظلت تؤرق سندريلا بعد انتهاء الفيلم إلى أن سمعت أذان الفجر، ثم خرجت من غرفة نوم حنين إلى حجرة المعيشة وفتحت البلكونة، فإذا السكون يملأ المكان فتنظر إلى السماء تراقب النجوم، ولا تزال تفكر فيما رأت وسمعت على مدار الأيام التي قضتها في عالم التكنولوجيا، الذي أبهرها من أول لحظة ولا زال يبهرها بالجديد كل يوم بل كل ساعة.
ثم جلست على الكرسي الهزاز الموجود في البلكون، وظلت تتأرجح عليه محاولةً عقد مقارنة بين عالمها، وهذا العالم وتسأل نفسها، تُرى هل السعادة هنا في ذلك العالم الجديد أم عالمها الصغير المحدود؟!

ورأت سندريلا الشروق والنوم يداعبها، ثم غلبها واستيقظت سندريلا على صوت والدة حنين، حيث تستيقظ في الصباح الباكر لتحضير طعام الإفطار؛ فلاحظت أن باب البلكون مفتوحاً، فعندما ألقت نظرة وجدت سندريلا نائمة على الكرسي الهزاز، فأيقظتها قائلةً: ساندي.. ساندي.. ساندي..
وفتحت سندريلا عينيها وكأنها تقول أين أنا؟ ثم أدركت أنها لا تزال في زيارتها لعالم التكنولوجيا.
وقالت: صباح الخير يا طنط، رحت في النوم على الكرسي، أنا آسفة.
الأم: مفيش مشكلة يا ساندي أنا خايفة عليك تبردي بس واستكملت الأم: تحبي تفطري ايه؟ في أومليت وكراسون وكورن فليكس.

وقبل أن تكمل وجدت الدهشة، والتعجب يملأ عيون ساندي فهي لم تسمع بتلك المسميات من قبل وانتابت أم حنين علامات الاستغراب لماذا ساندي مندهشة وكأنها تسمع تلك المسميات لأول مرة.
وقالت: في ايه يا بنتي؟ مالكِ؟!
وردت ساندي: مفيش حاجة يا طنط، أنا مش جعانة أنا متعودة أشرب قهوة الصبح، ثم انني سأنتظر حنين كي نفطر سوياً.
الأم: قهوة على الصبح أنتِ زى حنين، والله القهوة على الصبح مش كويسة علشانكم، طيب يا بنتي أنتِ حرة مش هضايقك.
وانصرفت الأم متجهة إلى المطبخ، وتتنفس سندريلا الصعداء لأنها لم تجد حنين هذه المرة؛ لتنقذها ثم عاودت النظر من الشرفة تشاهد المارة، وبعض سكان البرج خارجين من البوابة منهم المتجه إلى جراج العمارة ومنهم المتجه إلى محطة الأتوبيس كلٌ إلى غايته.

ثم دخلت من الشرفة إلى الحمام، واغتسلت وبعد أن خرجت وجدت الأم خارجة من غرفة معتز حيث كانت توقظه.
وقالت: ساندي قهوتك في السفرة، سفرة أنا هصحي حنين، فاتجهت سندريلا لحجرة السفرة، فوجدت الكثير من الأصناف على المائدة، أشياء لم ترها من قبل ولكن لها رائحة ذكية وأشياء تعرفت عليها، واقتربت كي تتذوق بعض من تلك الأشياء التي لم ترها من قبل.
وفى تلك الأثناء كان معتز قد دخل الغرفة قائلا: صباح الخير هتفطري لوحدك، ايه النشاط ده كله!
سندريلا: لا أبداً أنا كنت أتذوق فقط.
معتز: جبتني رائحة الطعام.
معتز: طبعاً، أكل أمي لا يعلى عليه.
ثم جاءت الأم وحنين وتناولوا الإفطار جميعاً، ثم ذهبت الأم لعملها وخرج معتز إلى الجامعة.

ولم يتبق في المنزل سوى حنين وسندريلا، وجلسا معاً في غرفة المعيشة، وأشعلت حنين سيجارة وسألتها سندريلا هل ما شاهدناه بالأمس في هذا الجهاز، وأشارت بوجهها إلى التليفزيون حقيقة أم خيال، حلم أم علم؟
وابتسمت حنين لأنها كانت على يقين تام من أن الفيلم كان له تأثير كبير على سندريلا
وأجابتها قائلة: إنهم يطلقون على تلك لنوعية من الأفلام الخيال العلمي أو غزو الفضاء، والحقيقة تائهة ما بين الخيال والواقع.

الواقع إن العلم تقدم بصورة مذهلة، أطلعتنا على ما حولنا من كواكب وأقمار ونجوم، منها القريب منا ومنها البعيد جداً، وكانت لتلك الاكتشافات أثر كبير على حياتنا ولكن لا زال البحث مستمراً..
وأكملت: إن العلم كشف لنا عن كواكب أخرى ولكن لم يكن للحياة أثر على تلك الكواكب، حتى أننا وصلنا للقمر ولكننا لم نصل بعد للشمس فدرجة الحرارة عالية جداً يستحيل معها الوصول إليها، والعجيب أنه عند وصول العلماء لسطح القمر لم يجدوه مثيراً كما يظهر لنا كل ليلة ولم يكن جميلاً مثلما نراه من على كوكبنا بل إنه يستمد نوره من الشمس والقمر كوكب معتم لا يوجد به ماء، وبالتالي لا يمكن الحياة عليه، يتكون من صخور وجبال مثل الأرض ولكن الأرض بها أنهار وبحار لا وجود لها على سطح القمر.. ويتميز بقلة الجاذبية عليه ولذا يصعب الوقوف في ثبات عليه مثل وقوفنا وثباتنا على الأرض.
سندريلا: أنا لا أفهم منكِ شيئاً كل ما أريد أن أعرفه هو: هل هناك حياة أخرى وناس أخرين غيرنا في هذا الكون؟
حنين: الحقيقة أنه لا يوجد مخلوق على الأرض يستطيع أن يجزم ما إذا كانت هناك حياة وناس أخرين على كوكب آخر أم لا؟!
رغم كل تلك التكنولوجيا التي نعيشها في عصرنا هذا، أصبح كل شيء ممكناً، البعض يؤكد وجود حياة أخرى على كواكب أخرى

والبعض الأخر ينفى ذلك، كلا الطرفين يحاول طوال الوقت تأكيد مزاعمه.

أما الحقيقة هي في علم الله وسر من أسرار الكون، وهذا الفيلم فيه شيء من الحقيقة، أما الباقي فمن خيال الكاتب يشد انتباه المشاهد.
وجلستا معاً تتناقشان حول الفيلم لوقت طويل ربما ساعتين أو أكثر وأثناء ذلك دق جرس الباب، وتهم حنين بفتح باب الشقة وهى تقول: مين اللي جاى دلوقتى؟!
وقبل أن تفتح تنظر من العين السحرية، لتجد مريم أمام الباب وتفتح بسرعة لتجد مريم منهارة من البكاء وبمجرد أن ترى مريم حنين أمامها حتى ترتمي في حضنها باكية، طالما كانت الصدر الحاني على صديقتها وتغلق حنين باب الشقة بإحدى يديها ولا تزال تحتوى مريم بين يديها، وتأخذها إلى غرفة المعيشة، حيث ساندي تتطلع إليهما باستغراب وتجلسان على الأريكة أمام ساندي وتحاول حنين تهدئة مريم لتفهم منها ماذا حدث لكل هذا الانهيار.
حنين: ممكن تسكتى وتقولي لي إيه اللي حصل؟ عملتي حادثة؟ بالعربية؟ تسكت مريم لثوان قائلة لا ثم تعود للبكاء.
تعاود حنين سؤالها: أمكِ جرالها حاجة؟
فتومئ برأسها علامة النفي مستمرة في البكاء.
فتقوم حنين وتشد مريم من يدها متجهة بها إلى الحمام وتفتح الصنبور وتغدق وجه مريم بالماء وبذلك تنجح في إسكاتها، وتعود لسؤالها ولا تزالان في الحمام: إيه اللي حصل؟
مريم: منير.. هيخطب، عايز يتجوز ويستقر ويكون عنده أولاد!
تنظر حنين بعيون الخبرة والحزن خوفاً من تلك النهاية: طب تعالي وتأخذها إلى غرفتها.

ويدخلان غرفة نوم حنين وتجلسان على السرير ولا تزال حنين تحتضن صديقتها وتهدئ من روعها.

وتبدأ حنين بسؤال مريم من جديد ماذا حدث وكيف عرفت أن منير مُقبل على الزواج من أخرى؟!

وتسرد مريم القصة:
كنت أنا وسالي مع جاسر نتناول الغذاء في مطعم وفى تلك الأثناء دخل المطعم منير وأخته منال وفتاة أخرى، ولكنه لم يلاحظنا حيث كان المطعم مزدحمًا، وجلسوا على مائدة ليست بعيدة عن مائدتنا، وأخذتُ ألاحظ تصرفاتهم وطريقة كلامهم، حتى ساورني الشك في أن أخته أحضرت هذه الفتاة؛ ليراها منير ويتزوجها إن أعجبته..
وسكتت لحظات تسترجع ما حدث بعيون تملؤها الدموع.
وتعاود حنين حثها على استكمال الأحداث، فتكمل مريم، تركت سالي وجاسر مندمجين في حديثهما، وتحركت إلى مائدة مقابلة للمائدة التي يجلس عليها منير وأخته وتلك الفتاة، كان من عليها غادروها في نفس اللحظة التي كنت أفكر في إظهار نفسي له.
حنين: وشافك؟!
مريم: كان مركز في البنت وفين لما بص حواليه وشافني.
حنين: وعمل إيه لما شافك؟
مريم: ارتبك ووشوه جاب ألوان، ثم رايته ينهض متجهاً إلى التواليت، فاتبعته، ولكني لم ألحقه قبل أن يدخل التواليت الرجالي.
حنين: ها وبعدين.
مريم: انتظرت أمام الباب حتى خرج.
وعادت للبكاء من جديد عندما كانت تستحضر الحوار الذي دار بينهما في تلك اللحظة، وهنا دخلت سندريلا من باب الغرفة، مستأذنة هل نسمح لها بالدخول أم لا.

حنين: تعالي يا ساندي.
ثم رفعت بيدها وجه مريم التي اخفت وجهها في وسادة سرير حنين، وأخذت تمسح دموعها، وهى تقول لها: مريم الدموع لن

تصلح ما حدث يا حبيبتي هدي نفسكِ، وكملي علشان نعرف هنعمل إيه.

مريم: أنا بحبه يا حنين ومش قادرة أتصور نفسي مع راجل غيره، ومش قادرة أصدق أنه ممكن يكون مع واحدة غيري، إزاي يكون معايا من يومين والنهاردة يدور على غيري. مش معقول الحب ده كله كان وهم في خيالي. وكنت مجرد لعبة في أيده. أنا عيبي إيه، أنا قصرت معه في إيه، أنا ضيعت سنين معاه يا حنين.. فاكرة أنا عرفت منير أمتى؟! أنا كنت لسة عيلة مش عارفة حاجة في الدنيا كان عندي 18 سنة.
حنين: ممكن تبطلي وتكملي اللي حصل في المطعم وبعدين عددي.
مريم: حرام عليك يا حنين أنتِ كمان على.
حنين: أنا آسفة يا حبيبتي مش قصدي، يمكن تكوني فاهمة غلط.
مريم: لا يا حنين ده قال لي بعظمة لسانه، إن دي عروسة جيباها أخته.
وقبل أن تكمل كلامها سمعوا جرس تليفون مريم، وقبل أن ترد مريم قالت: دي سالي.
مريم: الووو أيوة يا سالي.
سالي: أنتِ رحتى فين يا بت؟
مريم: أنا عند حنين في بيتها تعالي.
سالي: ماشى ماشى جايه باي.
مريم: باي.
حنين: سالي جايه؟
مريم: أيوة.
حنين: كملي يا ستى اللي حصل.
مريم: كان فاكر أني كنت براقبه ومصدقش ده إلا لما شاف سالي وجاسر قاعدين على الترابيزة.

وتسرح مريم بناظريها في اللا شيء مسترجعة الحوار بينها وبين منير.
منير: أنتِ بتعملي إيه هنا؟
مريم: ربنا جبني هنا علشان أشوف عروستك.
منير: أنتِ بترقبيني.
مريم: لا أبداً مجرد صدفة، صدفة خلتني أشوفك على حقيقتك.
منير: أنتِ جاية تعملي شوشرة ولا إيه؟!
مريم: لو كنت عايزة أعمل شوشرة كنت رحتلك على ترابيزتك وكلمتك قدام أختك والننوسة، أنا هنا مع سالي وجاسر وأنت جيت وإحنا قاعدين.
منير ينظر حيث تشير مريم بيدها، ويرى سالي فعلاً، ثم يعاود النظر لمريم.
مريم: متهربش من الموضوع، أنت عايز تتجوز فعلاً!
منير: أمال هفضل كده؟
مريم: طب وأنا؟!
منير: إحنا أتكلمنا في الموضوع ده قبل كده يا مريم مليون مرة وأنتِ عارفة اللي فيها.
مريم: الكلام ده كان قبل ما نتقابل من يومين ولا نسيت اللي حصل من يومين؟
منير: لا أبداً يا حبيبتي منسيتش.
تقاطعه مريم: حبيبتك!
منير: أرجوكِ يا مريم ده مش مكان ولا وقت نتناقش فيه رواحي دلوقتي.
مريم: امُال نتكلم أمتى لما تتجوز؟!
منير: سبيني دلوقتي أنا لازم أرجع الترابيزة.
مريم: وأنا؟ للدرجة دي ماسويش عندك؟!
منير: روحي دلوقتي يا مريم وبلاش شوشرة.

وتركها متجهاً للمائدة حيث تجلس أخته والعروس المنتظرة، ومريم لا تكاد تصدق أنه لا يعبء بمشاعرها، وظلت واقفة دون حراك لبضعة دقائق ما بين الألم والدهشة والحيرة، لا تعرف ماذا تفعل، أصابتها المفاجأة بالعجز عن عمل أي شيء، حتى عن الحركة من مكانها إلى أن لامس كتفها شاب صغير يعمل على خدمة التواليت وقال لها: في حاجة يا آنسة؟!

حنين تقاطعها: السافل ابن الكلب وأنتِ سكتي يا مريم؟!

مريم بعيون حزينة وقلب مكسور: أنا محستش بنفسي غير وأنا أمام بابكِ.

وعادت الدموع تملأ عيونها من جديد، ولم تكن وحدها هذه المرة، بل كانت سندريلا دموعها تملأ عينيها حزناً على تلك الفتاة المسكينة، وتأثراً بما تعانيه ونظرت حنين إلى ساندي، ثم إلى مريم وهى لا تعرف ماذا تفعل.

وأكملت مريم: ولما استوعبت اللي حصل انتفضت، وكأني بفوق من كابوس لكنها حقيقة، أحياناً تكون الحقيقة أسوأ وأبشع من الكابوس ولم اشعر بنفسي إلا وانا خارجة من المطعم دون ان أخبر سالي ولا أعرف إلى أين أذهب، درت بالطرقات إلى أن وجدت نفسف بالقرب من بيتكِ فصعدت.

وفى تلك اللحظة دق جرس الباب، فراحت تفتح الباب لسالي التي لم تدرِ كيف تركتها مريم في المطعم ودخلت حنين وسالي غرفة نوم حنين حيث مريم وساندي تدمعان.

سالي: في إيه يا جماعة؟!

حنين: أنتِ كنتِ مع مريم يا سالي ازاي تسيبها في الحالة دي لوحدها؟

سالي: إحنا كنا بنتغدا سوا في المطعم وبعدين دخل منير وأخته ومعاهم واحدة كدة عمرنا ما شوفناها قبل كدة، وبعدين مريم راحت على ترابيزة قريبة منهم علشان تعرف إيه الحكاية بعد كده ماشوفتهاش تاني، فضلنا مستنينها أنا وجاسر تظهر أبداً حتى منير

واللي معاه مشيوا، فاتصلت بيها علشان أعرف هي راحت فين وايه اللي حصل؟
وتتجه إلى جوار مريم وتقول لها: إيه اللي حصل يا مريم؟
مريم وهى تنتحب: منير عايز يتجوز يا سالي شوفتى!
سالي: الراجل ده طول عمري أقول أنه زبالة.
مريم: احترمي نفسك يا سالي.
سالي: سبوني عليها بعد كل ده بتدافعى عنه يا غبية؟
حنين: سالي كفاية لحد كدة، أنتِ جايه تهديها ولا تشعليليها.
سالي: حاضر هسكوت بس هي اللي عملت كدة في نفسها طول ما هي مش عارفة تأخذ موقف عمرها ما هترتاح.
مريم: يا سالي أنا.. أنا.. بحبه معرفش غير أني أحبه.

حنين تكلم نفسها: نشاء وتشاء الأقدار، نتمنى ويتحقق ما لا نتمناه، فكيف نستطيع الاستمرار.. أود الهروب لعالم آخر لعالم ساحر، حيث الغابات ذات الأشجار الكثيفة والبحيرات المنتشرة تتجمع حولها الخيول البيضاء، أعدو عبر الريح، قد أستطيع النسيان وأبدأ من جديد ولكن كيف؟ فمعه ابتسامتي، طموحتي، كياني، يا ليتني ما أحببته.
تتكلم ساندي بعد أن انتهت مريم من سرد الأحداث: ومن الحب ما قتل يا صغيرتي.
يسود الصمت لحظة وتستكمل سندريلا: لا تفقدي حياتك بسبب الحب، إن الحب يعني الحياة وليس الموت ولكني أرى أمامي فتاة يقتلها حبها، تائهة غارقة لا محالة، إن لم يرفعك الحب إلى السماوات، وإن لم يدفعك إلى الكمال فليس بحب، سمه ما تشائين، ولكن الحب أبعد ما يكون عما سمعته الآن يا فتاتي لقد عيشتِ أكذوبة سميتُها حُبا، ولكن عندما تقابلين الحب الحقيقي يوماً ما وقتها ستدركين أن كل ما فات أكذوبة.
حنين: والله صدقتي يا ساندي.

وتكمل حنين وكأنها تحدث نفسها: لا تسألوني عن الحب ولا عن الأحلام فقد أصبحت أكذوبة، أحياناً تؤلم وأحياناً تُضحك، تؤلم عندما أحس بالوحدة، وتضحك عندما أتذكر سذاجتي، فالمحب كالسكران لا يعي ما يفعل، مسلوب الإرادة لا يفكر بعقله، بل يفكر بقلبه، لقد خدعني باسم الحب، فعشت بخيالي قصة حب رائعة صحوت منها؛ لأجدنى مخدوعة، مصدومة، أترنح هنا وهناك.

إن الحب ما هو إلا أكذوبة يصدقها الإنسان ويعيش فيها، أكره الكذب. سأعود من حيث أتيت أكثر رفضاً للحب الأكذوبة، متسائلة متى سيظل الحب أكذوبة، ألن يأتي الوقت ليكون حقيقة أم أن هذا حلم أيضا؟! لقد سأمت الأحلام، سأعيش الواقع بكل ما فيه من ألم وفرح على شرط ألا يمس أحد قلبي.

سالي: مريم الحياة جميلة بس المهم تعرفي ازاي تعيشيها وتشوفي جمالها، أنتِ ليه هتعقدي نفسكِ علشان واحد ميستهلش يا حبيبتي هو الخسران، عمره ما هيقابل واحدة بتحبه ذي ما حبتيه.. بكرة يبكي بدل الدموع دم ويعرف قيمتك، أنتِ بس اللي بصة للدنيا من منظار ضيق علشان كده مش شايفة غير منير.
لو تجربي منظار أكبر هتشوفي حاجات أجمل بكثير. ولا أنا غلطانة يا جماعة؟
ساندي: معكِ حق يا سالي.
ويدق جرس التليفون بمنزل حنين وتتركهم وتخرج لترد على التليفون، فإذا بفريدة على الهاتف، وتحكي لها حنين الخطوط العريضة لما يدور عندها وتقول لها فريدة: سآتي على الفور وتطلب منها حنين أن تمر على سهام وتحضرها معها، ليجدن حلاً لصديقتهم مريم.
تغلق فريدة الهاتف وتعاود رفع السماعة وتطلب رقم سهام وهى جالسة بغرفتها بفيلا أبيها على كورنيش المعادى، ويرن جرس

التليفون عند سهام التي كانت تتناول وجبة الغداء مع زوجها سيف حيث ينعمان بقسط من الحرية في غياب أبيه وزوجته الجديدة.
سهام: الووو
فريدة: أيوة يا سوسو إزيك؟
سهام: فيري أهلا وسهلاً، اتفضلي معانا، حماتك بتحبك.
فريدة: بالهنا والشفا يا حبيبتي، أنتِ فاضية بعد الغداء؟
سهام: خير في حاجة؟
فريدة: ضروري نروح عند حنين، مريم عندها ومنهارة، الباشا منير هيتجوز.
سهام: ابن الـ ...
ولم تكمل الشتيمة حيث كان زوجها جالساً أمامها على السفرة يتناول الغداء، وأكملت: ماشى يا فريدة إن شاء الله هكلمك بعد عشر دقائق كده.
فريدة: أوكى سلام.
سهام: سلام.
وتغلق السماعة وتعود للسفرة وتكمل غذائها في حين يسألها زوجها عمن كان المتحدث؟
سيف: كنتِ بتكلمي مين يا سوسو؟
سهام: دي فريدة بتقولي أجهز بعد الغداء علشان نروح لـ حنين.
سيف: هي إيه حكاية صحباتك اليومين دول؟!
سهام: أبداً أصل منير صاحب مريم عايز يسبها ويتجوز واحدة تانية.
سيف: يا حبيبتي الجواز ده قسمة ونصيب، أنتم مش هتغيروا القدر ولا نظام الكون، لو ربنا كاتب لهم حاجة ضروري يشفوها.
سهام: طبعاً يا حبيبي، إحنا بس صعبان علينا مريم وسنين ضيعتها على واحد مايسواش.

ويهم سيف بالقيام بعد أن انتهى من طبقه، وتبعته سهام في سحب الأطباق إلى المطبخ، في الوقت الذي اتجه فيه سيف إلى الحمام لغسل يده. وبعد دقائق التقيا الاثنان في غرفة النوم حيث اعتادا أن ينالا قسطاً من الراحة بعد الغذاء.

استلقى سيف على السرير، بينما سهام تطلب منه السماح لها بالخروج، وبالفعل أذن لها على ألا تتأخر، وهمت إلى التليفون الموجود بغرفة النوم، وطلبت فريدة حيث كانت الأخيرة تستعد للخروج ومنتظرة تليفون سهام وتتفقان على أن تمر فريدة على سهام؛ لتأخذها من منزلها في طريقهما إلى منزل حنين.

وبالفعل تلتقيان وتستقل سهام السيارة بجوار فريدة ويدور الحوار بينهما.

سهام: هاى فيري.

فريدة: أهلا سوسو، شوفتي اللي حصل؟

سهام: أنتِ عرفتي الحكاية.

فريدة: الحكاية معروفة من زمان وده اللي كلنا حذرنا منه مريم وهي ما سمعتش الكلام.

سهام: هي مش أول واحدة راجل يضحك عليها ويستغلها، الفيلم ده شوفنا كتير قبل كده، المهم إنها تتعلم من الدرس.

فريدة: بس الدرس ده كلفها حاجات كتير قوي يا سوسو.

سهام: مفيش حد بيتعلم ببلاش، الثمن دايماً بيكون غالي.

فريدة: لو كان في توعية مكانش الثمن يكون غالي كده.

سهام: تقصدي إيه يا فيرى؟

فريدة: ضروري يكون فيه توعية للمراهقين عن طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة منذ الصغر وتزداد هذه التوعية تدريجياً بكبر هؤلاء المراهقين حتى لا نضطر لدفع ذلك الثمن الغالي.

سهام: يعنى إيه مش فاهمة برضه؟

فريدة: سيبك من مشكلة مريم وبصي للموضوع بنظرة أعمق وأوسع، أنتِ لسة بتقولي أن مريم مش أول واحدة يخدعها رجل صح؟
سهام: صح.
فريدة: ليه ميكونش فيه توعية صحيحة للبنات المراهقات كما يفعل الغرب، مش مريم أول ما عرفت سي منير ده كان عندها 18 سنة تقريباً؟
سهام: آآآه
فريدة: يعنى كانت في مرحلة المراهقة؟
سهام تزداد تركيزاً لتفهم قصد فريدة: آه
فريدة: في الغرب في توعية بالمدارس ووسائل الإعلام موجهة للفتيات والفتيان منذ سن المراهقة حتى تقل الأخطاء التي يقع فيها المراهقون والتي بالتالي تؤثر على حياتهم فيما بعد.
سهام: الكلام ده في أوروبا وأمريكا مش هنا.
فريدة: وليه ميكونش هنا كمان؟! هنفضل كدة متخلفين لحد إمتى؟!
سهام: إحنا متخلفين؟!
فريدة: نعم إن شعوب الدول العربية وعلى رأسها مصر متخلفة فكرياً، فمعظم دول العالم الغربي تسبقنا فكرياً، وبالتالي حضارياً بمراحل متعددة، هم يأخذون مميزات ديننا الإسلامي، ونحن نأخذ منهم مساوئ فكرهم المتحرر.

سهام: أنتِ يا فريدة دائماً تتجنى على شعوبنا، أيعجبك هذا الانفتاح الفكري الذي أدى إلى انحلال تلك الشعوب باسم الحرية؟!
فريدة: أنتِ تفهمني خطأ يا سهام. أنا لا أدافع عن تلك الشعوب وحضارتها، بل أني حزينة على حضارتنا التي سبقتهم ثم تخلفت عنهم بكثير الآن، فأصبحت تقتبس منهم كل ما هو سيئ فقط مما آثر سلبياً على مجتمعاتنا العربية، انظري إلى الناس في الشوارع وتصرفاتهم وطريقة كلامهم وسلوكهم، هل هذه هي مصر؟! هل

هذه هي الحضارة؟! انها ليست إلا نوع من الهمجية المنظمة، الكل يبحث عن اللذات والذات دون النظر لما لذلك من آثار سلبية على كل ما حوله فيما بعد.
سهام: لا تعجبني طبعاً. وكلنا نلاحظ التغيير المفاجئ الذي طرأ على البيئة المصرية.
فريدة: لا إنه ليس تغيير مفاجئ يا سهام، أنه تطور طبيعي لتقليد الغرب الأعمى في كل شيء والأخذ والاقتباس منهم دون وعي أو رقابة جيدة تتفهم لما يدور وراء الكواليس.

سهام: طب فهِميني يا ست فريدة، منكِ نستفيد!
فريدة: إن الغرب لا يقومون بالنميمة أو الغيبة أو ترويج الإشاعات الكاذبة بهدف تشويه سمعة شخص ما، أن كل شخص يعيش في حاله، يذهب لعمله ثم يعود؛ ليجلس مع أسرته الصغيرة، بالكاد يعرف من في الجوار معه، أو قد لا يعرفهم فهذا لا يعنيه في شيء، وعلى العكس من ذلك في دولنا العربية الإسلامية التي حرمت النميمة والغيبة وغيرها من خلال أحكام الشريعة ونص القرآن الكريم. ماذا نفعل؟! ألا نمارس ما حرمه الله حتى أصبح ذلك من عاداتنا وتقاليدنا في المجالس والتجمعات؟!
سهام: عاداتنا وتقاليدنا؟!
فريدة: نعم عاداتنا وتقاليدنا. اسمحي وعرفي لي كلمتي "عادات وتقاليد"، انها الأشياء التي اعتاد عليها الناس وتعارفت عليها فأصبحت عرفاً سائداً معمولاً به صح أم خطأ؟
سهام: صح هذا هو تعريف العادات ولكن..
وقبل أن تكمل سهام جملتها قاطعتها فريدة قائلة: ولكن ماذا يا سهام؟ أنها الحقيقة التي نحاول الهروب منها، نحن نمارس عادات وتقاليد حرمها الله علينا وسيعاقبنا أشد العقاب على اقترافها، هل تتذكري القصة التي قصتها علينا "مريم" عما حدث لها في العمل

بسبب من أشاعوا عنها الأكاذيب حتى صدق كل زملائها بأنها على علاقة بزميل متزوج وله أطفال؟
سهام: نعم أتذكر تلك القصة، لقد عانت منها "مريم" الكثير حتى أنها اضطرت لترك العمل في النهاية.
فريدة: إن الحرية يا سهام شيء جميل ومن حق كل إنسان على هذه الأرض أن يحظى بالحرية، لينعم بالسعادة ولكن الحرية، وأقصد هنا الحرية بمعناها الصحيح وليس التحرر.
سهام: أننا ننعم بالحرية يا فريدة هنا في مصر.
فريدة: أي حرية تلك التي ننعم بها يا سهام؟
سهام: ألا تري حرية التعبير والفكر والرأي، بل والحرية في كل شيء من حولك يا فريدة، أم أنها يجب أن تكون في مثل حرية الغرب أيضا.

فريدة: لقد كانت الدول الأوروبية تنعم بالحرية، ثم تحولت تلك الحرية إلى تحرر أدى إلى الكثير من السلبيات داخل تلك المجتمعات.
سهام: لقد قلتيها بنفسك يا فريدة.
فريدة: نعم إنكِ تفهميني خطأ للمرة الثانية يا سهام، إنني لست متحمسة للغرب على حساب شعوبنا العربية الضعيفة، كما أنني لن أنصر الشعوب العربية بجهلها على الغرب، انظري جيداً لتلك الحرية التي تتحدثين عنها، ستجدينها وهماً بالحرية وليست حرية حقيقية.
وأكملت: ألم يجبرك زوجك يا سهام على مقاطعة كل أصدقائك الرجال قبل الزواج، بل ومنذ الخطوبة، حتى أعز أصدقائكِ الذي كنتِ تتصلين به سراً وكأنك تفعلين شيئا خطأ، حتى اكتشف زوجك ذلك وكان سيطلقك بسبب اتصالك بـ "عمرو" رغم إن عمرو بمثابة أخ لكِ؟
سهام: نعم ولكن الوضع يختلف قبل الزواج عنه بعد الزواج.

فريدة: كيف اختلف ولماذا؟ أن الاختلاف الوحيد الذي أراه هو الامتلاك، إن "سيف" بزواجه منكِ اعتبرك مِلكًا من أملاكه كالسيارة والشقة وما إلى ذلك.
سهام: أكيد أصابكِ الجنون والهوس بالغرب يا فريدة، وأنصحك أن تذهبي لطبيب أمراض نفسية.
فريدة: أنا آسفة يا سهام، لكن من الواضح أن المناقشة معكِ لن تُثمرعن شيء وأنتِ لن تفهمي شيئاً مما أقول.

سهام: لا أنا أفهم جيداً، ولست حمقاء ولكن عليكِ أن تقولي كلاما مفهوما يا ست فريدة، أنتِ تجادلين لمجرد المجادلة في أمور لا جدال فيها.
فريدة: ماشى، لنعود للحرية مرة أخرى وسوف أسألك سؤالا يا سهام، حاولي الإجابة عليه بموضوعية هل ما يحدث بمجتمعنا المصري اليوم بدءً من ظاهرة التعري للفتيات بالشوارع والأندية والأماكن العامة، ثم إلى ظاهرة الزواج العرفي، والاغتصاب وحوادثه المختلفة المثيرة للاشمئزاز، والتي يقشعر لها البدن، يلي ذلك ظاهرة الـ Boyfriend، التي يحاول فيها الشباب المثقف المتعلم بتقليد الغرب والتي نتج عنها عمليات الإجهاض وعمليات إعادة البكارة وفى النهاية ظاهرة الخُلع، هل لديك إجابات يا سهام عن هذا النمو السريع نحو الانحلال التي أصبحت عليه بلادنا الجميلة مصر وكيف تدهور شكل العلاقة بين الرجل والمرأة إلى هذا الحد؟!
سهام: إنه بسبب زيادة نسبة مواليد البنات على البنيين في مصر الذي أدى إلى وجود عدد كبير من الفتيات يواجهن العنوسة.
فريدة: لا ليس هذا السبب وحده، ولو أني أشك في صحة هذه النسبة ولكنها ليست موضوعنا الآن.
سهام: بسبب نقص الأموال لدى الشباب لبدء حياة جديدة.

فريدة: ولا هذا السبب أيضا فالغالبية العظمى ممن يقعون في هذه المشاكل من ميسوري الحال وليس المعدمين.
سهام: ماذا يكون السبب إذن؟
فريدة: إنهما سببين رأسيين: الأول هو التقليد الأعمى للغرب دون التفكير فيما سيؤدى إليه هذا التقليد، وإن كان هذا الشيء يناسب مجتمعنا أم لا، بدءً من الموضة على سبيل المثال لا الحصر. والسبب الثاني هو الكبت.
سهام: ماذا؟ الكبت؟!
فريدة: نعم إن الكبت يولد الانفجار، أعني كبت المشاعر والأحاسيس التي تعبر عن الحب، سواء بالنسبة للشاب أو الشابة، فبالنسبة للشاب نجد أننا غرزنا فيه منذ الصغر أن يكون رجلاً قوياً، لا يخاف لا يبكي، وبمعنى أصح لا يفعل كل ما تفعله البنت، فهي وحدها التي تخاف وتبكي، وبذلك يشب ويشيب الرجل وهو يمثل هذا الدور المرسوم له منذ الصغر، فتكون النتيجة أنه دائماً يحاول إخفاء مشاعره وأحاسيسه تجاه أي شيء فإن حزن يخاف أن يبكي، وإن أحب وعاش القصة بعنفوانها وجمالها وجنونها، فأنه يفيق من القصة على صوت العقل، وأنه في الحقيقة ليس من العقل أو المنطق في شيء، يجد بداخله صراع بين مشاعره وصوت آخر لا يعرف معنى للحب أو المشاعر يقول له إنكِ نسيت هويتك، فأنت شرقي عربي مصري، كيف تستمر في هذه العلاقة؟ كيف تفكر في الزواج من هذه الفتاة بعد أن وافقت على الخروج معك وتبادل كلمات العشق، بل وممارسته أيضاً؟! لا أنها لا تصلح أن تكون زوجة وأم لأولادك يجب أن تنسحب فوراً من حياتها وتبحث عن أخرى جديرة بأن تحمل اسمك وسمعتك وأمينة على تربية أولادك وبالفعل ينسحب مخلفاً ورائه إنسانة معذبة، لا ذنب لها إلا أنها أحبت بإخلاص، وكان تعبيرها عن هذا الحب هو سر عذابها وشقائها، بدلا من أن يكون مصدر السعادة عليها، يتركها وحدها تلاقى مصيرها بالرغم أنه متأكد أنها تحبه ولكن ذلك الفكر مسيطر

عليه تماما يقيده ويقوده دون أدنى إرادة منه أما بالنسبة للفتاة فهي مظلومة أيضاً، لا يلومها أحد أن بكت فهذا الشيء الوحيد تقريباً الذي من حقها أما كل شيء فيما عدا ذلك محرم عليها، فليس من حقها أن تحب أو أن تعبر عن مشاعرها، وإن جرؤت وعبرت عن حبها تقوم الدنيا ولا تقعد أبداً، وتُتهم بأبشع التهم أنتِ مش متربية، أنتِ فاجرة، وما إلى ذلك..

ولذا فإن الفتاة تفضل الصمت والسكوت بدلاً من التصريح بمشاعرها ومن هنا تبدأ المشاكل، مشاكل الكبت، فتخرج مع من أحبت سراً دون أن يدري أقرب الناس إليها، تخرج معه للحياة دونما خبرة مسبقة أو مشورة أو نصح ممن يمتلك الخبرة بمجريات الحياة، فتكون النتيجة الحتمية خطأ يليه مجموعة من الأخطاء، حتى ينتهي بها المطاف في رحلة الحب، ما تعتقد أنه حب، عند طبيب فاشل لا يراعي الله أو اليمين الذي حلفه؛ فيجري لها عملية إجهاض أو إعادة بكارة مقابل مبلغ من المال.

وتعود مرة أخرى هذه الفتاة للحياة، محطمة لتقوم بدورها بالخداع والغش، تمارس حياتها العادية، وتتزوج فتبني حياتها على الغش والكذب، لأن هذا كان أول درس تعلمته في الحياة عندما خرجت سراً لأول مرة تقابل من أحبت.

أليس معي حق في كل ما قلت ألا يولُد الكبت الانفجار، ثم إلى دمار أجيال متعاقبة، ثم إلى مجتمع مريض بأكمله؟

سهام: نعم هذا صحيح يا فريدة، ولكن كيف تحل هذه المشكلة ومجتمعاتنا أمامها سنوات طويلة لمثل هذه الحرية التي تتكلمين عنها، وربما لا نصل إليها أبداً.

فريدة: الحل في الحرية، الحرية بمعناها الصحيح، وليس مجرد شعارات رنانة، فحواها فراغ وسراب، أسمع منذ سنوات بعيدة عن حرية المرأة، وأنا لا أجدها سوى وهم باعه الرجل لامرأة حمقاء، وقال لها هذه هي الحرية، ولم تكن سوى اسم دون معنى؛ فأخذت

المرأة تهتف لقد تحررت، لقد نلت حريتي من الرجل بعد صراع طويل، أنها كحرية الأقصى!
الحرية تعنى ألا تؤذى الغير، أن تعترف بخطئك لا أن تهرب منه وتستنكره أو تلقي به على عاتق الآخرين، أن تكون قادراً على الاعتراف بالحقيقة، أيًّا كانت عواقبها، ومهما كانت مؤلمة الحرية تعني أن تكون لديك مبادئ وقيم وعقائد تؤمن بها ويعترف بها المجتمع والدين.
إن الفتاة في أوروبا وأمريكا عندما تخبر والدايها وتشركهما في فرحها بهذا الحب، يتعرف والداها على من تحب، وبذلك يكون هذا الحب تحت ناظريهما وإشرافهما يوجهونه ويحفظونه بخبرتهم، ونحن نعيب عليهم ذلك دونما تفكير واعي، أليس هذا أفضل من أن تخرج الفتاة سراً لتقابل حبيبها؟! وتجر وابل من المشاكل على نفسها وعلى أهلها أيضا.
سهام: نعم، في هذه الحالة أوافقك الرأي إنه أفضل بكثير ولكن أعود لنفس البداية..العادات..التقاليد..
فريدة: نحتاج إلى التوعية المستمرة لكل أطراف المشكلة، أعلم إنها لن تحل بسهولة، ولكن عندما نفعل مثل النعام لن نتحرك خطوة واحدة لحل المشكلة، بل سنجدها تتفاقم ويتوالد عنها مشكلات أخرى فرعية، ونغوص في تلك الفرعيات إلى الأعناق حيث الفناء.

وبإنتهاء المناقشة الحامية بين فريدة وسهام تكونان قد وصلتا لمنزل حنين بعد زحمة المرور بسبب تغير خط السير المؤدي إلى المطار حيث تستقبل مصر وفد رفيع المستوى!
تركن فريدة سيارتها وتستقلان المصعد وتدق سهام جرس الباب وتهم سالي بفتح الباب، وتدخلان إلى غرفة المعيشة، ويجلسان مع سالي قبل الدخول لغرفة نوم حنين ومقابلة مريم، لتفهما ما حدث، وبالفعل تقص عليهم سالي القصة، وعلامات الحزن تبدو عليهن.

فريدة: إحنا ممكن نعمل إيه؟
سالي: مش عارفة
سهام: ضروري يكون في حل، مش معقول نسيب مريم تضيع كدة.
فريدة: عندك حل؟
سهام: الحقيقة لا، بس مفيش حاجة ملهاش حل.
سالي: أنا شايفة أن الحل في أيد مريم، لازم تفوق مش معقول تسيب منير ده يلعب بيها كدة، ده لو كان صحبي أنا كنت مشيته على العجين ميلغبطوش.
سهام: أصل مريم بتحبه بجد وأنتم عرفين، الحب أعمى.
فريدة: سيبكم من الكلام وتعالوا ندخل لها.
ويهموا بالقيام متجهات إلى غرفة حنين، حيث تجلس مريم ومعها حنين وساندي، الكل شارد الفكر يحاول إيجاد حل ولكن هل هناك حل فعلاً؟ هل يمكن للرجل الشرقي رغم تفتحه على العالم أن يتغير؟ هل يستطيع الخروج من عباءة التقاليد والعرف وأن يفعل ما يقوله؟ فما أكثر الرجال اليوم الذين يتكلمون عن حرية المرأة، يعرف تلك ويصاحب هذه ويدعي أن فلانة "انتمته" أما تلك الفتاة الجميلة المتأنقة التي تدخن السيجارة فهي من شلة النادي.
ولكن عندما يختار زوجة له، فكل المقاييس والمفاهيم تتراجع لعصور سحيقة مضت، ويتحول إلى سي السيد الذي يبحث عن أمينة تلك المرأة الضعيفة التي لا تعرف إلا تربية الأولاد وخدمة سي السيد، وإن فكرت في نفسها مرة وطالبت بحق من حقوقها تكون قد ارتكبت معصية تستحق الجلد عليها؟
أما الفتاة التي ترفض وتتمرد على دور أمينة، والتي ترغب أن يكون لها دور في المجتمع وتتمتع بفكر، فهي لا تصلح أن تكون زوجة، فالرجل يخاف من المرأة ذات الفكر والفلسفة، ولن يتغير الرجل الشرقي ولو بعد مليون سنة، ستظل المرأة تنحت في الصخر بأظافرها؛ لتغير رأي ونظرة الرجل لها، ولكن هيهات فالرجل

كالصخرة الصامدة الصامتة لا يتأثر بأي شيء، في حين تنكسر أظافر المرأة وتسيل دمائها دون أن يتحرك لتلك الصخرة ساكناً.
ترى فريدة مريم منهارة تماماً ويصعب الكلام معها في أي شيء فتطلب من حنين أن تحضر أي مهدئ؛ لتعطيه لمريم وبالفعل تفتح حنين درج مكتبها، وتخرج منه علبة حبوب مهدئة في نفس الوقت الذي تحضر فيه سالي كوب ماء من المطبخ وتطلب حنين من مريم أن تأخذ حبة لتهدأ وبعد دقائق تغوص مريم في النوم.
ويتركها الجميع لتنام، ويتجهن إلى غرفة المعيشة ويدور بينهن الحديث والجدل فيما حدث وما هو أحسن قرار بالنسبة لمريم وبين الشد والجذب وأفكار مجنونة.

تتأملهن سندريلا وتفكر هل هذا هو الحب في عصر التكنولوجيا؟ عصر الحرية! الكل يتخبط هنا وهناك على غير هُدى كل شيء أصبح في غير موضعه، وكأنها متاهة كبيرة يدور فيها الناس ولا يستطيع أحد الوصول لنقطة النهاية.
إن عالمي أروع بكثير، علي أن أعود لمليكي وحبيبي، أنه ينتظرني بقصر الأحلام، إن مشاكل تلك النسوة أكبر بكثير من أن أحلها، هذه المشاكل ليست وليدة اليوم أو الأمس القريب، إنها وليدة سنوات وتراكمات عديدة أدت إلى ما وصلت إليه هذه الفتاة المسكينة التي لا حول لها ولا قوة. إنها تدفع ثمن التحضر بزمن العولمة وعصر التكنولوجيا ببلاد تتدعي الحرية.
وتفيق سندريلا على صوت حنين تقول لما: هاى ساندي يعني ساكتة؟ إيه رأيك؟ نعمل إيه؟
ساندي: وماذا تستطيع أي منكن أن تفعل؟ إن الحب مشاعر وأحاسيس.. ليس للإنسان أن يتحكم فيها، ولن تجعلن بخططتكن تلك منير أن يحب مريم من جديد.
سالي: يعنى إيه؟ هنسبها كده تروح مننا؟
ساندي: هل أحببتِ يوماً يا سالي؟

سالي: إيه؟!
وتسرح لحظات، ثم تقول: نعم لقد كان ذلك منذ زمن بعيد.
ساندي: هل تكلمتِ عن تجربتكِ؟
سالي: لماذا؟ هل هذا الوقت المناسب للتحدث عني؟
ساندي: لماذا أنتم عصبين؟ قد يكون لي هدف من سماع قصتك.

سالي: تستعيد ذكريات مرت عليها سنوات وتقول: كنت أحبه بجنون، كان الحياة بالنسبة لي، كنت كالوردة وهو كالماء بدونه أفنى وأموت، وكانت النهاية، كنت أظنها نهاية العالم ودماري ولا حياة لي بعد ذلك، ولكن مرت السنون سريعاً، وأصبح مجرد ذكرى. كانت النهاية لبداية جديدة لعالم جديد، لو لم أكن أعرفه من قبل، عالم الحب اليوم.
كنت أرسم في خيالي صورة رومانسية جميلة، أحلى من كل أفلام السنيما، ولكني صدمت ووجدت الحب مختلفا تماماً عما حلمت به، لقد كانت مجرد أحلام أما اليوم فلا أحد يفنى لفقد الحب، لم يعد هناك روميو وجوليت أو عنتر وعبلة أو حتى سندريلا والأمير الشجاع.
إن زمنهم ولي وراح وأصبحوا مجرد أساطير لا نستطيع أن نحكيها للأطفال الصغار اليوم لأنهم لن يفهموها، لم تعد تلك القصص تجذبهم، أنهم يريدون قصص الرعب والدمار، أنه زمن الألعاب الشيطانية والمناورات الحربية، ذلك هو ما يعنيه الحب لي اليوم، إن الحب الحقيقي أصبح درباً من الجنون واللامعقول، إنني أحاول أن أعيش تلك الحياة بدون حب ولا أعرف إلى أين سيأخذني التيار.
ثم سكتت سالي والكل كان يستمع لكلامها، لأنهن لم يستمعن لها أبداً، فقط كن يحسسن بالتغيير الذي طرأ عليها، ولم تسألها واحدة منهن يوماً لماذا تفعلين ذلك؟!
سهام: حتى سالي كان عندها قلب يا جدعان!
سالي: تقصدي إيه يا سهام؟

فريدة: يا جماعة الوقت راح وموصلناش لحل.
حنين: أنا هتصل بأم مريم وأقولها أن مريم هتبات عندي علشان متقلقش عليها.
سهام: صح، هي الساعة كام؟
فريدة: الساعة 10 ونص.
سهام: أنا اتأخرت أوي لازم أرجع البيت، أنا سبت سيف لوحده.
فريدة: أنا كمان اتأخرت يدوب أوصلك البيت وأرجع المعادى.
سالي: ومريم؟!
فريدة: هتنام للصبح وتكون كل واحدة فينا فكرت في حل.
وتعود حنين لتجد سهام وفريدة تهمان بالانصراف.
سالي: طب أنا كمان هروح، عايزة حاجة يا حنين؟
حنين: تسلمي يا سالي، تعالي بكرة أول ما تصحي، ماشى؟
سالي: ماشى يا جميل.
وتودع حنين صديقاتها وتجلس هي وسندريلا تفكران متحيرتان، وتخرج الأم من غرفتها حيث كانت نائمة في الوقت الذي فتح فيه معتز باب الشقة، وهو يقول: يعنى الشلة كانت هنا بربطة المعلمة في إيه؟
حنين: مريم نايمة عندي، أصل منير بيدور على عروسة ومريم منهارة.
معتز: الحكاية دى هتخلص أمتى؟!
حنين: محدش عارف إيه النهاية.
معتز: ماما ممكن نتعشى؟
الأم: طبعاً يا حبيبي.
وتهم بدخول المطبخ لأعداد العشاء، ويذهب معتز لغرفته لتغير ملابسه.
حنين: سندريلا، ساكتة ليه؟ معندكيش حل لمريم؟
سندريلا: لقد قالت سالي الحل.
حنين باستغراب: سالي؟!

سندريلا: نعم، إن عصركم عصر الآليات والتكنولوجيا، ولقد طبعت تلك الآليات بصماتها عليكم فهرب الحب من عالمكم، لأن الحب لا يعترف بالآليات.
حنين: وإن تخلصنا من الآليات سيعود الحب؟
سندريلا: ربما، ولكن هل تستطيعون التخلي عن السيارة والتكيف والكمبيوتر والدش والتليفون وهى أبسط آلياتكم؟
حنين: طبعاً مقدرش.
سندريلا: إذن تستطيعين التخلي عن الحب؟
حنين: المعادلة صعبة جداً.
ويقطع صوت أم حنين حديث سندريلا، وهي تنادي عليهما من حجرة السفرة تدعوهما لتناول العشاء.
وبعد العشاء قالت حنين ساندي: هل تحبين أن تنامي مع مريم أم مع أمي؟
وفضلت ساندي أن تنام بجوار والدة حنين حتى ما إذا استيقظت مريم تجد حنين بجوارها.
وبذلك أسدل الستار على يوم عصيب من أيام زيارة سندريلا لعصرنا.

اليوم الخامس

وعند الفجر استيقظت مريم، والتفت حولها لتجد حنين تجاورها وتذكرت ما دار بالليلة الماضية، وخرجت من الغرفة لتجد الكل نائما، فاتجهت إلى البلكونة وجلست على الكرسي الهزاز.
واغمضت عينيها سارحة فيما حدث لها، وكيف كان الحب سبب تعاسة وشقاء بدلا من أن يكون مصدر سعادة، وأحست لأول مرة أن هذا لم يكن حباً حقيقياً، ثم سمعت أذان الفجر آتً من مسجد بعيد، فتحت عينيها وقالت لنفسها، إن هذا هو الحب الحقيقي، حب الله وحده لا شريك له، واتجهت إلى الحمام وتوضأت وصلت الفجر، ثم عادت لغرفة حنين لتنام في هدوء وسلام.
وأشرق صبح جديد ولا تزال السندريلا في عالمنا، استيقظ كل من بالمنزل، وكالعادة بعد تناول الإفطار تذهب الأم للعمل ومعتز للجامعة وتبقى حنين وسندريلا ومريم.
تطلب مريم من حنين أغرب طلب.
مريم: حنين أنا عايزة أصلي في مسجد السيدة نفيسة ممكن تودينى؟
حنين: طبعاً يا مريم ممكن.
مريم: متشكرة أوي يا حبيبتي، أنا عارفة أني تعبتكم كلكم معايا.
حنين: أنتِ عبيطة يا بت؟ عيب الكلام ده.
تبتسم مريم وتعود للصمت مرة أخرى، وتطلب حنين من ساندي أن ترتدي ملابس محتشمة، لأنهم سيذهبون إلى المسجد، وتتجهان إلى غرفة حنين للبحث في دولابها العصري على ملابس تتلاءم مع هذا المكان الطاهر.
وفي المسجد تسمع مريم حواراً بين فتاتين كانتا تصليان بالمسجد بجوارها عن درس للشيخ عمرو خالد بمسجد المعادي، حيث يلتقي فيه مع شباب ضل في الطريق في زحمة الحياة، يحاول الشيخ أن

يرشدهم للطريق الصحيح لأنه يوماً كان مثلهم يريد من يرشده للطريق السديد.
وتقترب مريم من إحدى الفتاتين، وتطلب منها أن تدلها على هذا الشيخ والمسجد الذي يلتقي به الشباب، وتدلها الفتاة على المواعيد التي يتواجد فيها عمرو خالد بالمسجد.
لقد عرف الإيمان الطريق لقلب مريم، وبدأت تضع قدماها الصغيرتان على أول الطريق.. طريق الحق.
وبالفعل تذهب مريم وبرفقتها حنين وسالي في الموعد المحدد لحضور درس عمرو خالد، وتدخل المسجد لتجد عشرات من الفتيات في مثل سنها وأكبر وأصغر تستمعن لذلك الشيخ الذي جذب انتباه الشباب، وكانت هدايتهم على يده.
لقد استيقظت مريم من غفلتها أخيراً، وعرفت أن علاقتها بمنير يجب أن تنتهي للأبد، وإن ما عاشته سنوات طويلة، لم يكن حباً حقيقياً، بل كان وهمًا وسراباً.

اليوم السادس

في صباح اليوم التالي لحضورها الدرس، اتصلت بمنير ودار بينهم الحوار:
مريم: الووو.. السلام عليكم.
منير: إيه وعليكم السلام يا سيتي.
مريم: أنا عايزة أقابلك ضروري.
منير: خير في حاجة؟
مريم: أيوة، ياريت تقابلني بكرة في المعادي.
منير: إيه؟ المعادي؟ اشمعنى؟
مريم: أصل في مكان جديد عرفته هناك.
منير: يا مريم مش طلبة جنان.
مريم: أنا مش هعطلك كتير هما 10 دقائق وبس.
منير: ماشي يا ستي أمرك.
مريم: متشكرة، السلام عليكم.
منير باستغراب: وعليكم السلام.
وبعد انتهاء المكالمة أخذت مريم في جمع ذكرياتها مع منير من أرجاء غرفتها، الهدايا، الصور، الخطابات، وكل ما قد يذكرها به.. وتضعهم في حقيبة، استعداداً للمقابلة الأخيرة.
تصل مريم أولاً تصحبها حنين بسيارتها ومعها الحقيبة، وتنتظران وصول منير الذي لم يتأخر وتراه، فتحمل الحقيبة وتطلب من حنين أن تسبقها إلى المسجد، وتخرج من السيارة حاملة بين يدها سنوات خمس، وتدخل سيارة منير وتجلس بجواره ويدور الحوار:
مريم: السلام عليكم.
منير: إيه السلام عليكم اللي ماسكة فيها اليومين دول؟
مريم: إنها تحية الإسلام.
منير: ربنا يهديكِ ويقوي إيمانك، بس من امتى؟
مريم: من النهاردة.

منير: وإيه الشنطة دي؟!
مريم: إنها لك.. فلم تعد تخصني في شيء.
منير يأخذ الشنطة ويفتحها، فيجد هداياه لها، وكل شيء يخصهما معا فيقول لها: إيه ده بقى؟
مريم: دي النهاية يا منير، أنا عرفت طريقي، علشان كده مش عايزه حاجة تفكرني بسنين ضاعت مني في كدب وغش وخداع.
منير: مريم أنا بحبك والله، بس الظروف.
مريم: أرجوك، الموضوع منتهي وماتحاولش تتصل بيا تاني وياريت تنسى عنواني، وتنسى إنك قابلتني في يوم من الأيام.
منير: يا ريت نكون أصدقاء يا مريم.
مريم: أنا آسفة، أنا أرفض صدقتك، وأرفض أي نوع من العلاقة قد يربطني بيك، أنا لازم أمشي دلوقتي علشان عندي درس.
منير: درس إيه؟
مريم: درس دين لعمرو خالد.
منير: استني .. مريم.. استني ..
وقبل أن يكمل كلامه كانت مريم قد غادرت السيارة، متجهة إلى المسجد دون أن تنظر وراءها، لأول مرة لم تنظر إليه تودعه بعيونها وابتسامتها، ولأول مرة يشعر منير إنها النهاية، وأنه قد فقد مريم للأبد فإنهار من البكاء.
وتعبر مريم الطريق، وتدخل المسجد، وتسمع الدرس بقلب وعقل مفتوح، وكأنها ولدت من جديد، وأصبح للدنيا وجهاً آخر وشكلاً آخر، بهذا التحول في حياة مريم مما كان له التأثير على الجميع من حولها.

اليوم السابع

انقضى النهار سريعاً ما بين الكوافير والترزي، والفتيات يبحثن عن الجمال والأناقة استعداداً لحفل زفاف يوسف، اجتمعن بمنزل حنين، الكل في غرفتها يتسارعن أمام المرآة وسندريلا وحدها تجلس على الكرسي الهزاز مشتتة التفكير ما بين حنين لحياتها كملكة، وافتقدها لزوجها، وبين ما قد تستطيع أن تقدمه لهؤلاء الفتيات المساكين، هل هي قادرة فعلا على مساعدتهن؟ على كل الأحوال انتهت المدة ولا محالة من العودة للمملكة، ولكن كيف سأعود؟ أنني حتى الآن لا أعرف كيف جئت لهذا العالم في لحظة؟

وسمعت صوت حنين يأتيها من الداخل ينادي: يا ساندي.. ساندي أنتِ فين؟!

فدخلت سندريلا إلى غرفة المعيشة، وفوجئت بها حنين، وأحست ملامح الرحيل في وجه سندريلا، ولكنها لم تعبأ فهي الأخرى، تعلم علم اليقين أن الرحيل آت لا محال، ولكن يجب أن تسرعن لحضور حفل الزفاف، ونزلت الفتيات في المصعد واستقررن في سيارتهن متجهات إلى أحد أفخم الفندق المقام به العرس.

ها هو يوسف ينزل يصعد السلم؛ ليستقبل عروسه الممسكة بيد والدها، ويقفان في منتصف السلم، ويسلم يوسف على والد العروسة، ويرفع الطرحة من على وجهها، ويقبلها على جبينها ويمسك بيدها

وتبدأ الزفة في العزف، ويدخلون القاعة المحددة لإقامة العرس بها، وبين المدعوين والمدعوات عيون كلها أفراح وابتسامات وأمنيات مباركة بزواج سعيد، وتراقص الفتيات والفتيان على إيقاعات الأغاني، وتندمج حنين وصديقاتها بالرقص مع العريس والعروس وباقي المدعوين وتنسى حنين سندريلا وسط زحام الحفل.

تسرح سندريلا وهي تتأمل الحفل وكل ما يدور حولها، وتتذكر كيف كان عرسها مقارنة باحتفالات الأعراس بالقرن الواحد العشرين وفجأة.. تختفي سندريلا؛ لتعود لعالمها الجميل الرومانسي تاركة رسالة حب:

"لقد عشت بعالمكم أسبوعاً كاملاً، رأيت فيه ما لا يصدق، رأيت التكنولوجيا التي سيطرت على العالم بأسره وباتت الرومانسية والأحلام الصغيرة درباً من الجنون والمستحيل، رأيت قلوباً تائهة وعقولاً حائرة وأقداماً غير ثابتة، حتى أصبح الخطأ هو المعقول الوحيد في دنياكم، فلم تروا الصح. ولكي تقلب الموازين مرة أخرى لابد أن يسود الحب عالمكم، الحب الحقيقي وليس الشعارات البراقة..

فبدون الحب تستحيل الحياة وتصبح على ما أنتم عليه الآن، ولست أقصد الحب بمفهومه الضيق، بل اقصد الحب بمفهومه الأعم والاشمل".

التوقيع: سندريلا القرن الثامن عشر